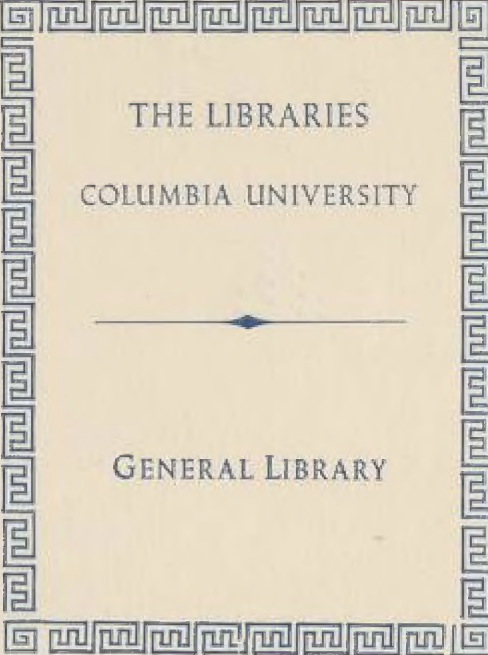


كتاب

في



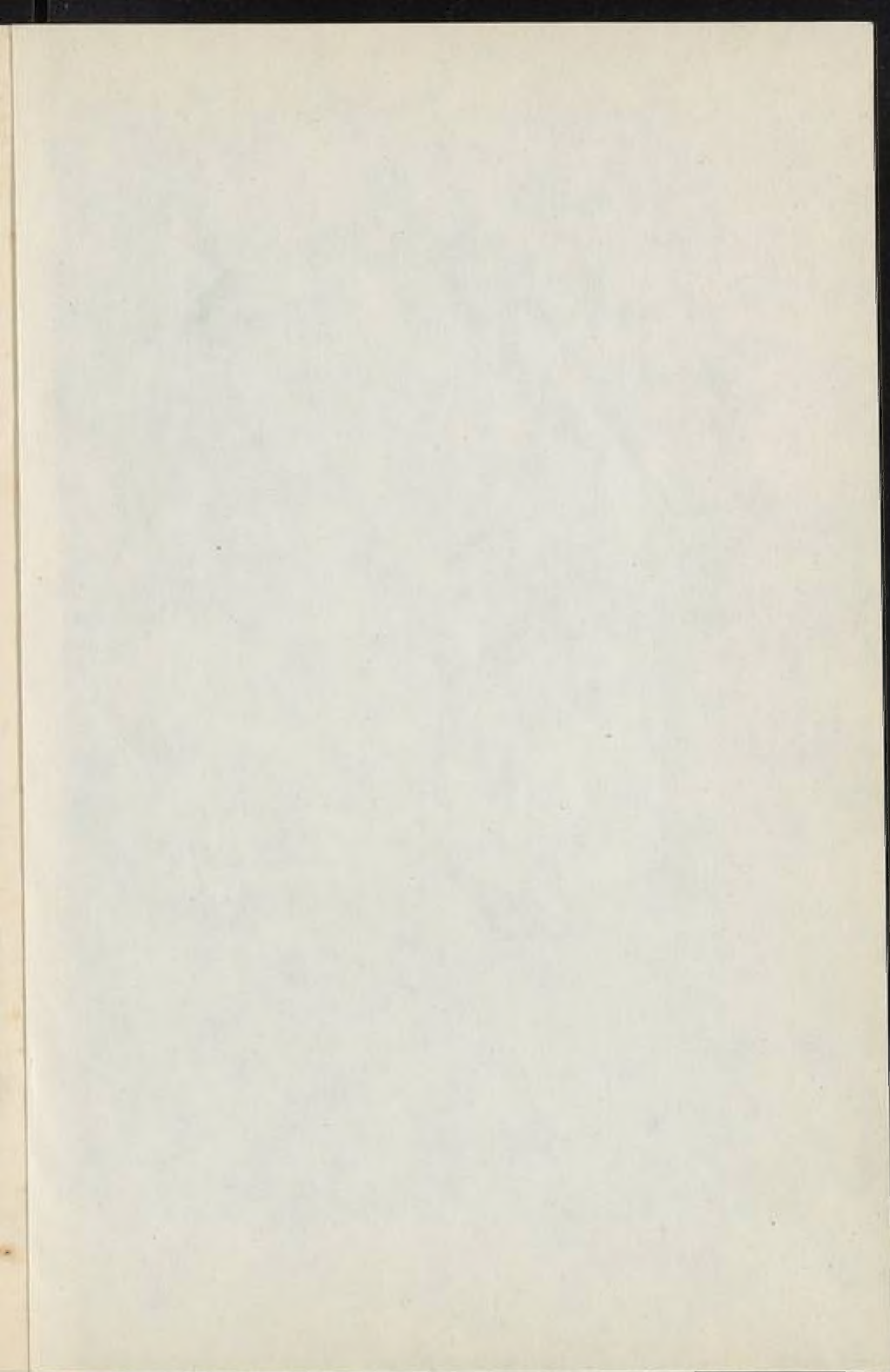
THE LIBRARIES  
COLUMBIA UNIVERSITY

---

GENERAL LIBRARY









الذكرى المئوية الأولى لوفاة الأمير بشير الشهابي (١٨٥٠ - ١٩٥٠)

# الأمير بشير الشهابي

طرائف عن حياته واملائمه وانفرد

تأليف

الحزري بطرس ف. صفير

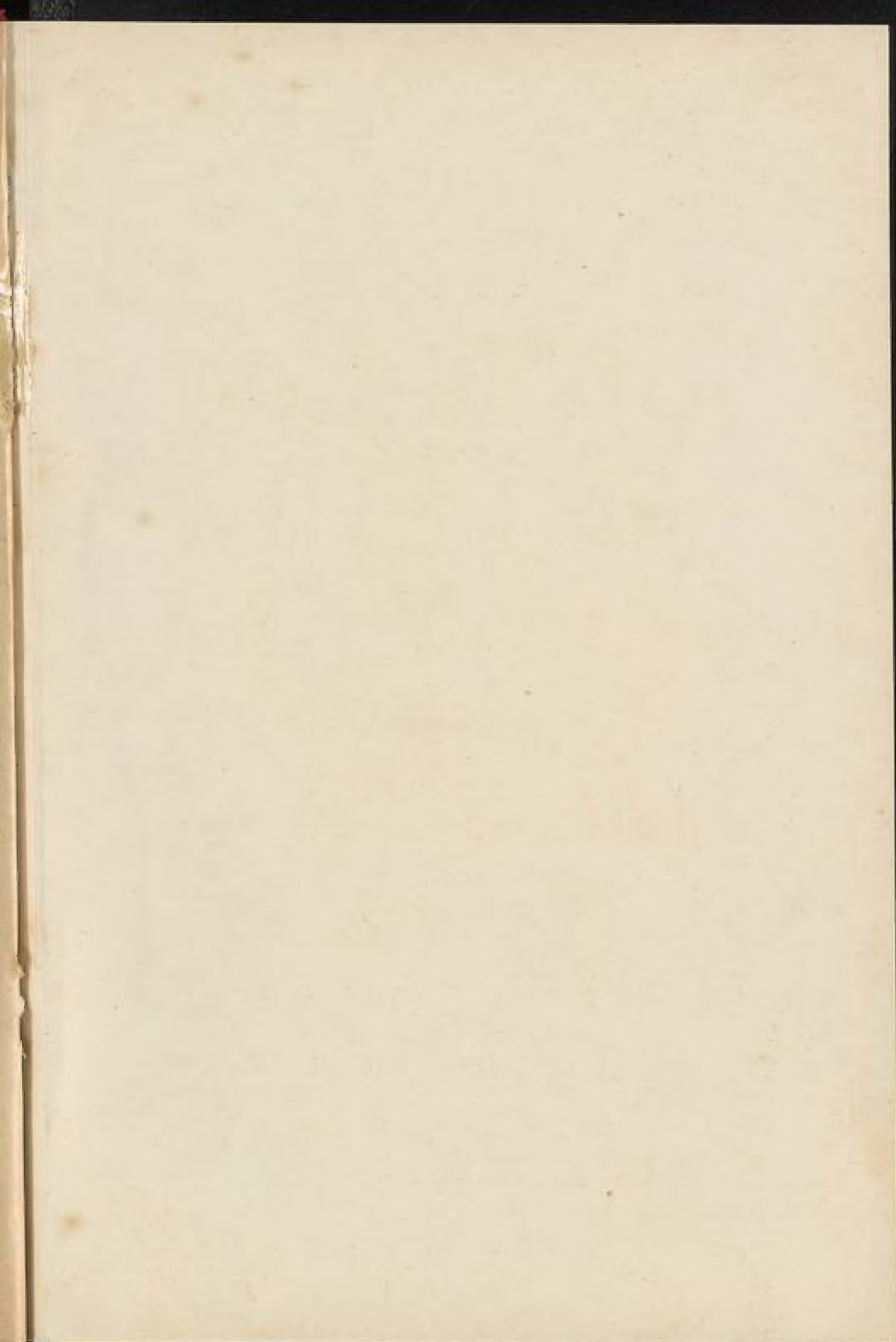
تولى بفلو نيويورك

واحد اساتذة كلية القديس يوسف سابقا

مع

تصدير بقلم الاستاذ فؤاد ا. البستاني

ونوطته بقلم الاميرة نجله الى الجمع





عني بطبعه على نفقة المؤلف  
الحوري لويس كرم

Imprimé par les soins du  
R. P. Louis KARAM

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

يطلب هذا الكتاب من حضرة المحوري <sup>١</sup>لويس كرم مرشد انقوة  
المدارس المسيحية في رأس بيروت، شارع جورج بيكو، ومن مكتبة يوسف  
صفيير ٣٧ شارع غورو، بيروت، وفي المهاجر من مكتبة توفيق حبيب على  
العنوان التالي :  
TOFIK HABIB, 187 Atlantic Ave.  
Brooklyn 2, N. Y. U. S. A.  
ومن المؤلف على عنوانه هذا :  
Rev. PETER F. SEFEIR  
41 Cedar St.  
Buffalo 4 N. Y. U. S. A.



الذكرى المئوية الاولى لوفاة الامير بشير الشهابي (١٨٥٠ - ١٩٥٠)

# الأمير بشير الشهابي

طرائف عن حياته واعماله وافكاره

تأليف

المخوري بطرس ف. صفير

نزىل بفلو نيويورك

واحد اساتذة كلية القديس يوسف سابقا

مع

تصدير بقلم الاستاذ فؤاد ا. البستاني

ونوطة بقلم الاميرة نجلا ابى الجمع

دار الطباعة والنشر اللبنانية

الصفيرى - بيروت

نشرت بعض فصول من هذا الكتاب في جريدة  
«الهندي» النيويوركية الغراء

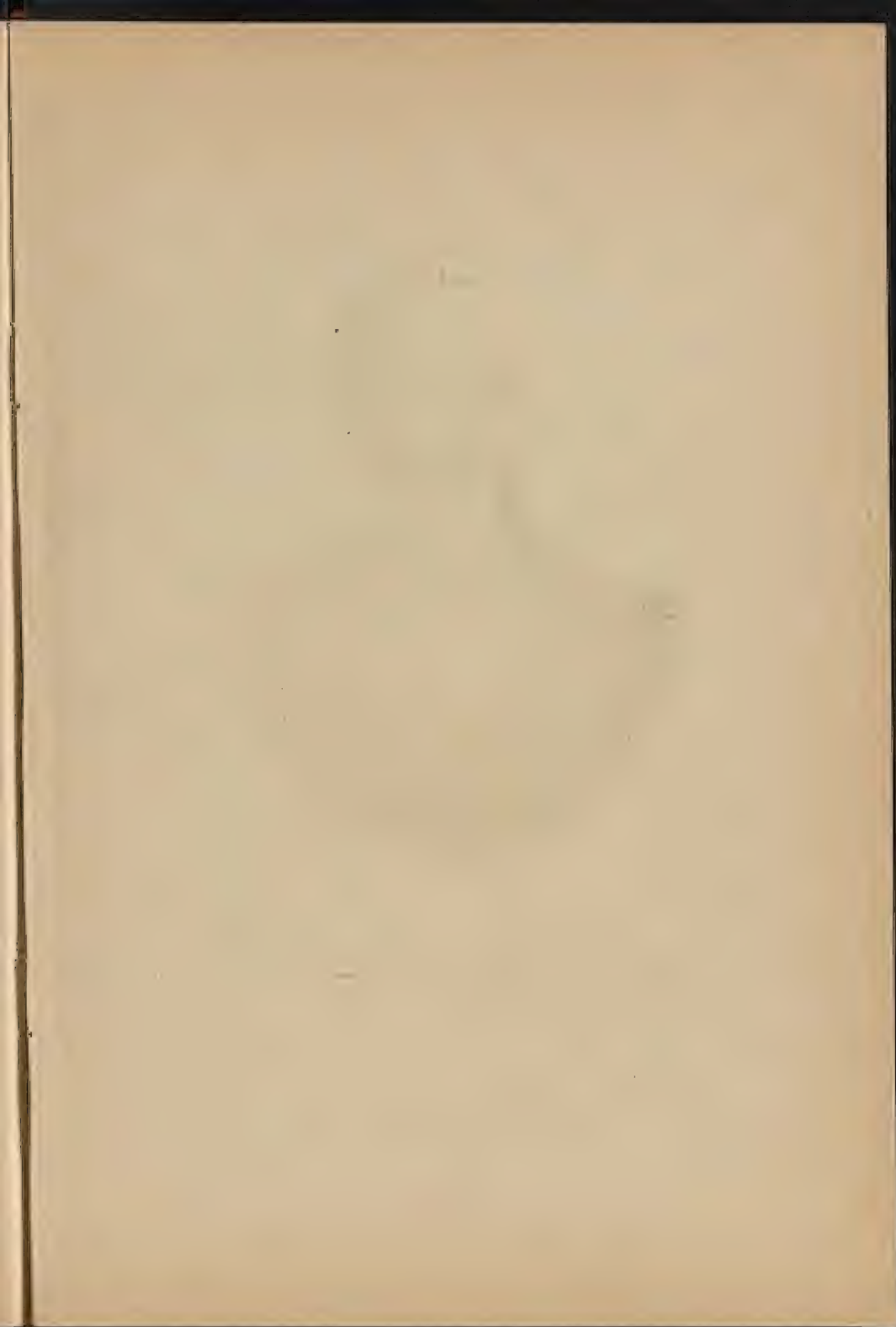


والد المؤلف المرحوم منصور فرج صغير



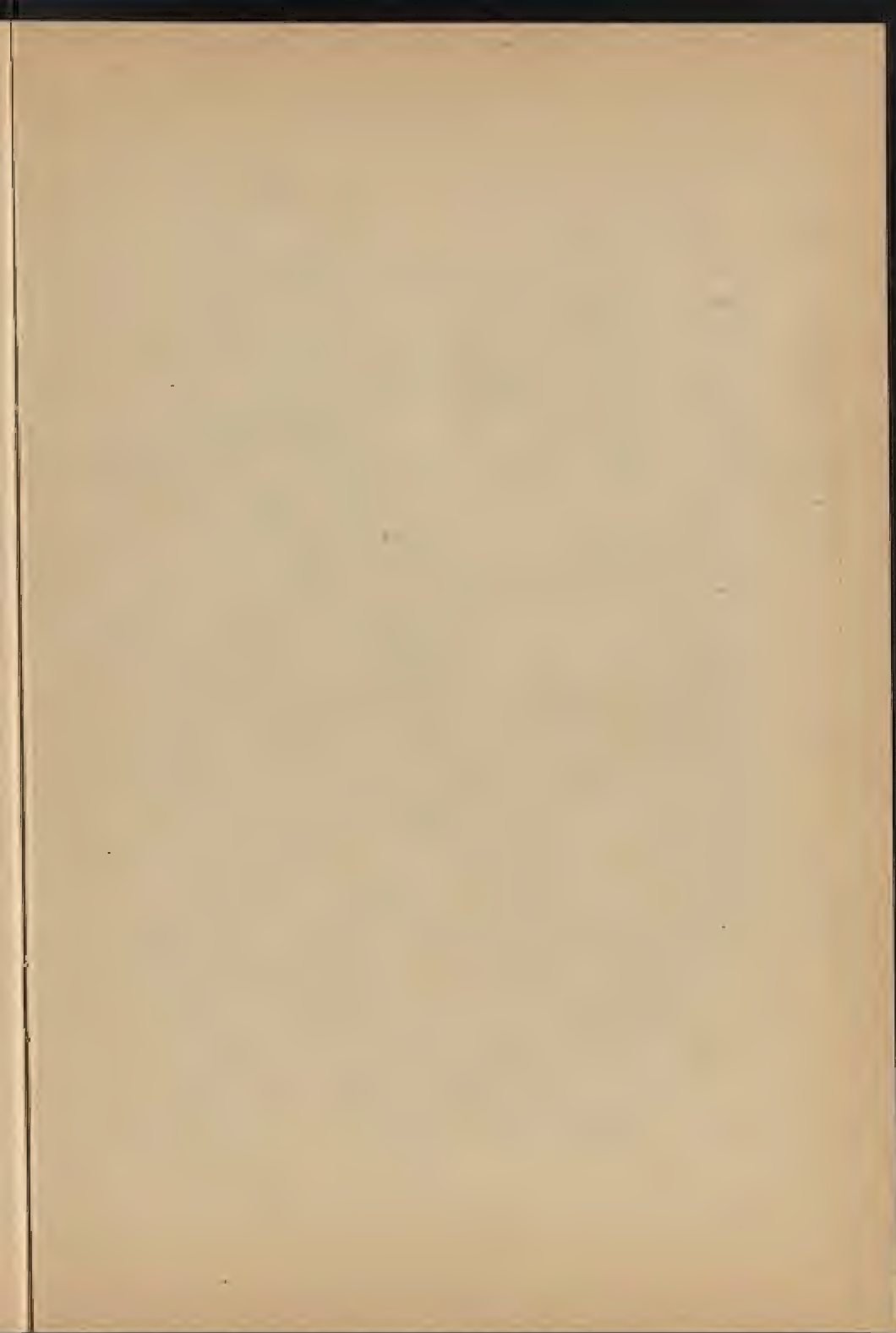
الى والدي منصور اللبناني الصميم الذي جنب الي منذ حداثي  
اخبار الامير بشير وشخصيته الفريدة فكان له من ثم الفضل في وضع  
هذا التاريخ .

المؤلف





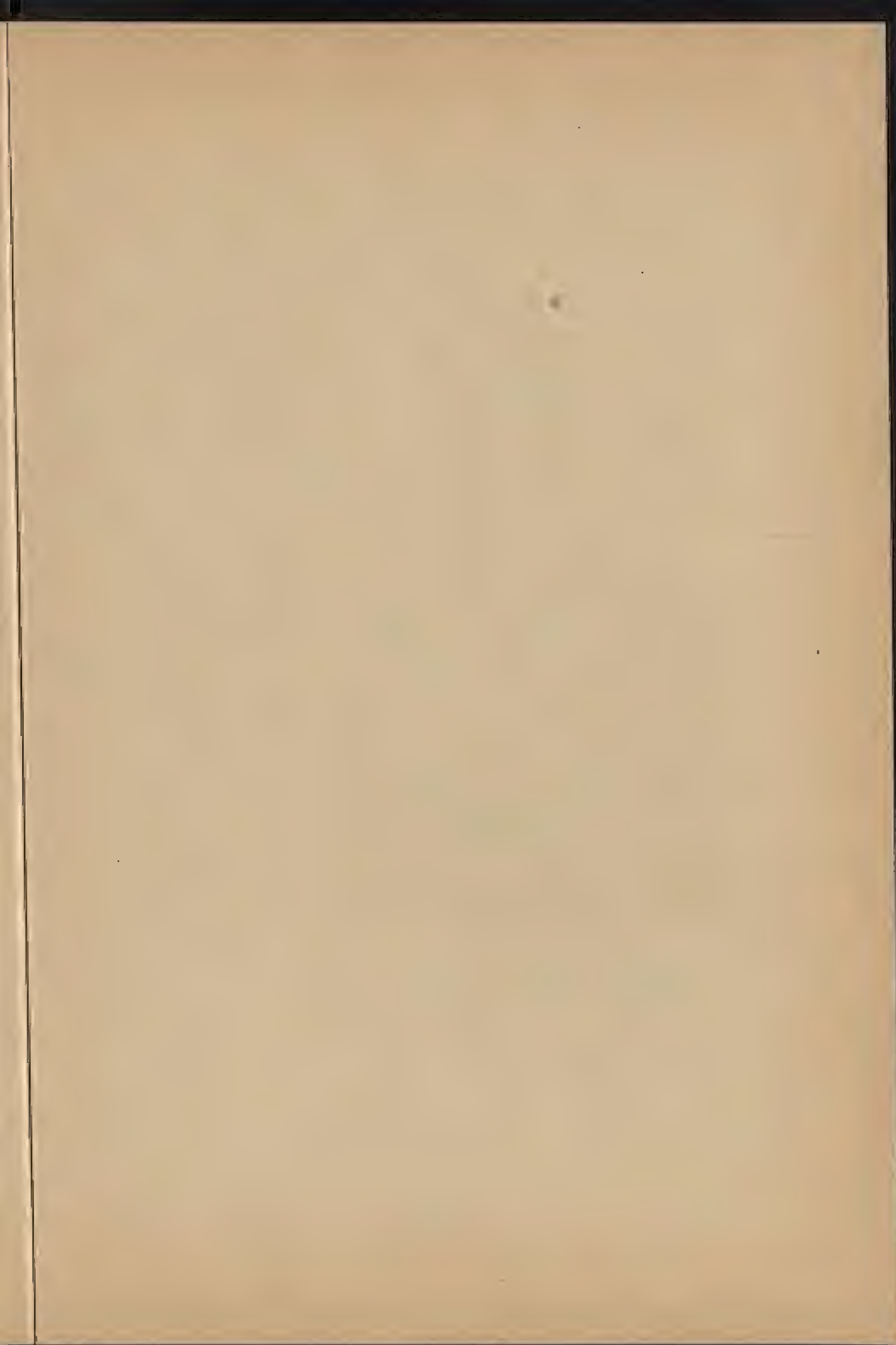




المرحوم حبيب باشا السعد



رئيس مجلس  
ادارة لبنان على  
عهد التصرفية  
وامتد رؤساء  
الجمهورية اللبنانية  
بعد الحرب العالمية  
الاولى وهو حفيد  
الشيخ سعد  
الحوري الذي مهد  
للأمير بشير سبيل  
التقدم والحكم  
(انظر الصفحة ٢٨  
من الكتاب)



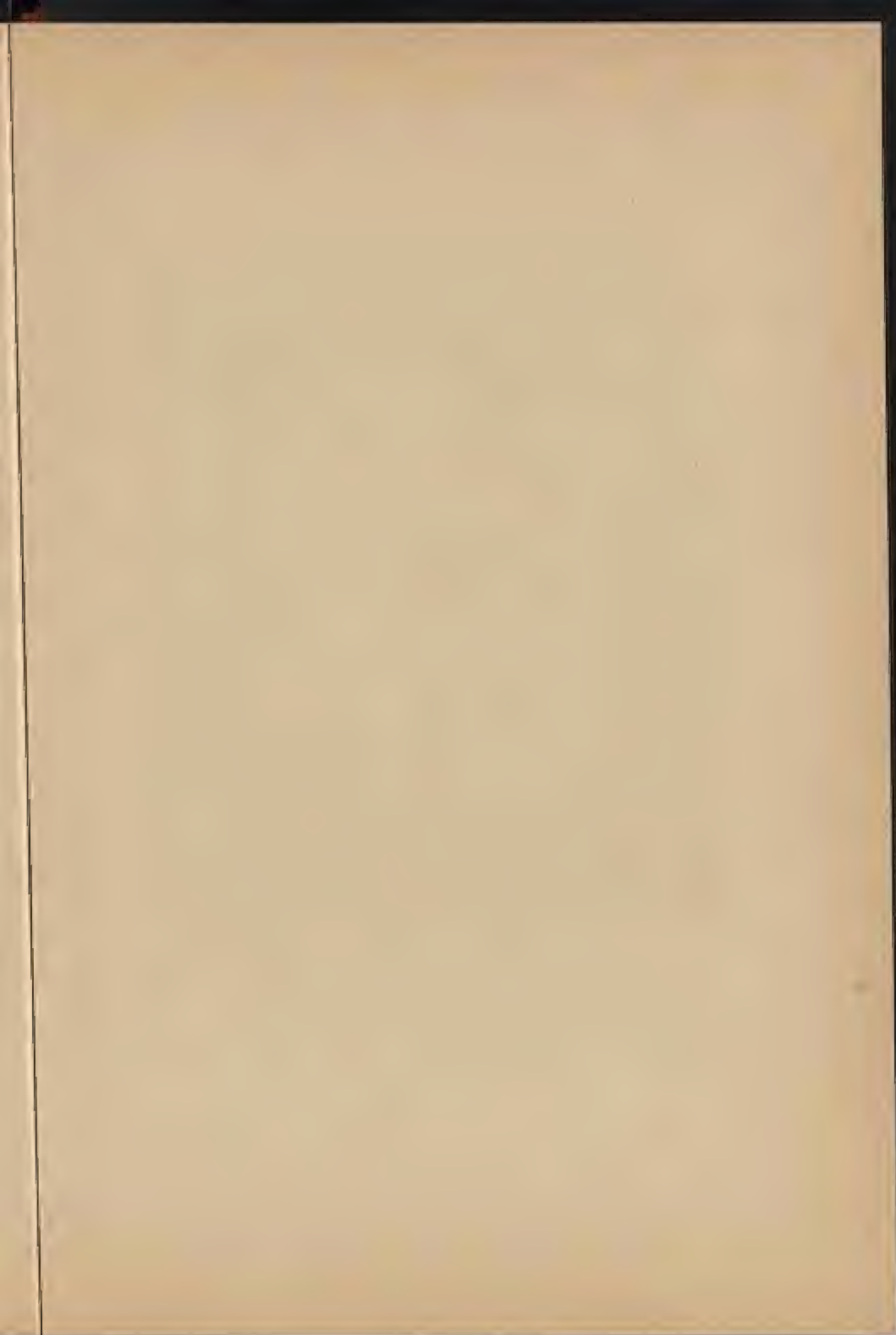




صاحب المال الدكتور الامير رثيف ابي البمع وزير التربية الوطنية والفنون  
الجميلة في الجمهورية اللبنانية الذي شجع المؤلف على نشر هذا الكتاب واودع  
بوضعه بين ايدي الاساتذة والطلبة في المدارس اللبنانية .

« التاريخ ليس درس الماضي غلب بل المستقبل ايضا . فهو الذي يسدد  
خطواتنا المقيمة على ضوء اخطائنا الماضية . علامة التي تجعل تاريخنا تسير  
في الظلام وتمتد في النور » .

رثيف ابي البمع



卷之四





DS

86

1583

## تصدير

تحرر السنة ١٩٥٠ حاملة الذكرى المئوية لوفاة الامير الكبير ،  
فتعيد على اللبنانيين حقبة من تاريخهم المستطيل يكتنفها السؤدد  
وتعقب بها الكرامة الوطنية . وبأثينا من نيويورك هذا المؤلف  
اللطيف ، فتميز امامنا الشخصية المهمة التي عمرت تلك الحقبة فأهلتها  
بالمآثر ونشرت على احداثها ملاء المجد .

فؤاد افرايم  
البناني



هو كتاب حضرة الخوري  
بطرس فرج صغير اللبناني الذي عرف ،  
ناشئاً ، بعض من ادركوا  
اواخر حكم المير ، فسمعوا الكثير

عنه ، ورووا عن آباءهم نوادر احكامه الرامية ابدأ الى اقرار العدل  
والمساواة وتوفير الامن والرفاهية . فعلقت بذهنه خطوط هذه  
الشخصية الحبيبة المحترمة ، حتى اذا ترامت به الاسفار الى اميركة  
الشيالية ، بعد ان اتم دروسه في جامعة القديس يوسف ببيروت ،  
ودرس فيها مدة ، فاستقر في بفلو نيويورك قائماً بخدمة مهاجريننا  
الروحية منذ زهاء ربع قرن ، عاودته ذكرى الامير في سنة اليوبيل

هذه ، ونشاء ان يقر في اذهان اللبنانيين جميعاً ما وقر في ذهنه من  
تاريخ البينة والكرامة . فكان هذا الكتاب الجامع ، على لطف حجمه  
وسهولة مأخذه ، ورائق أسلوبه . يظالعه اللبناني فيمتسع أفقه ، ويكبر  
قلبه ، وتتمكن ثقته برسالة وطنه . فيشكر المؤلف الفاضل جهده ،  
ويقدر له هذه الخدمة الوطنية التي خدمته الروحانية وكلماتها صنوان  
في رعاية هذا الوطن الحبيب .

فؤاد افرام البستاني





توطئة

## تاريخ الأمير بشير الشهابي الكبير

صاحبة هذا المقال هي الاميرة  
نجلا شديد ابني المجمع قريظة الاستاذ  
يوسف نعمان المطوف في بروكسل -  
نيويورك وشقيقة صالي الدكتور  
الامير رشيد شديد ابني المجمع وزير  
التربية الوطنية والفنون الجميلة في  
لبنان .

والاميرة نجلا هي صاحبة مجلة  
« النجر » وحاملة لواء الخطابة  
والادب النسائي في المهجر .



نجلا ابني المجمع

يحملني على نشر هذا المقال اليوم ، في الكتاب الذي باشر طبعه  
حضرة العالم المفضل انخوري بطرس فرج صفيح المقيم في الولايات  
المتحدة ، عاملان .

عامل التقدير لمرعته القومية السامية .

وعامل الإعجاب به ، بعد ان طالعت في جريدة « الهدى »  
الفراء بعض المقاطع المأخوذة من ذلك الكتاب ، كأنها اسطورة  
تاريخية ، فيها من معالم الاعجاز وروائع الآثار ما يعد بحق تراثاً وطنياً  
يفخر الامم ويمائش الزمن ، ويسجل في تاريخ لبنان صفحة لامعة من  
صفحات الوطنية والمجد .

ذهب الناس في عقائدهم مذاهب شتى عن الامير الشهابي  
الكبير الذي يعد من اعظم رجالات لبنان في تاريخه الطويل القديم  
منه والحديث . وكتب المؤرخون فضولا كثيرة عن حياته ، نشرت  
متفرقة ، وفي فترات بعيدة من الزمن ، فلم تجمع في كتاب خاص  
يتيسر استقراؤه وتسهيل دراسة ما فيه من النتائج والعبر .

والامم منها تطورت مدنيته ، وتبدلت نظم الاجتماع فيها ،  
تظل مدينة بالشيء الكثير للاسلاف الذين خدموا قضيتها وجاهدوا في  
سبيلها . لذلك كان من ابرز النقائص الادبية التي استحكمت بكتاب  
اللغة العربية عهداً طويلاً ، اعماهم تدوين تواريخ اعظام رجال الشرق  
عامة ، ولبنان خاصة ، وانصرفهم الى جمع تواريخ اعظام رجال الغرب  
وادخلها الى المدارس والمكاتب والمجتمعات . فشب النشء الجديد وفي  
روحه نزعة الى اقتباس كل ما هو غربي .

وتحولت مناهجه وامواره وحكوماته الى اتجاهات ، غريبة عن  
تقاليده ، بعيدة عن امانيه وعاداته ، وتوارثها الاحفاد عن الاجداد ،

فانضعت فيهم المثالية الوطنية والنفسية القومية ، فساروا في طريق  
غيرهم ، لا في طريقهم ، واستهدفوا هدف غيرهم لا هدفهم ، وضاعوا  
بين الاثنين .

ان الاصلاح في كل امر يقوم على الرجوع الى الحقيقة المجردة  
عن كل ما يضاهها من الاصباغ . وكل امة تتغلب عليها الاوهام ،  
وتنصرف الى الاهتمام بالمادة والمظهر ، دون الروح والحقيقة ، وتتخلى  
عن تراثها القومي المنشق عن جوهر عنصرها وعقلية فصيلتها ، هي  
امة تسير الى التقهقر فالاندثار .

وان للانسان اثنان قومياً طبيعياً يعمل باستمرار على حفظ  
سلامته ، ويوجه سبل نشوء وارتقائه ، فاذا ما ضاع ذاك الارث -  
المرشد الحزين الواقعي - ضل الانسان الطريق وسار ، لاعلى ستن فلسفة  
الطبيعة ، بل على مهب رياح الافئدة .

لذلك وجب على المصلحين الوطنيين ان يعنوا بدرس تاريخ  
قومهم ، وتاريخ محيطهم ، وتاريخ نوابغهم . ولا يتخلوا لبنان منهم ، ومن  
حياة لهم ، فيها المفاخر ، وفيها العظائم ، وفيها العبر . اخصه في زمن  
هو عهد استقلالنا الكامل ، وبدء نهضتنا العالمية الحديثة .

ان للحقائق والامثلة الواقعية التي تتناقلها الاجيال عن اعظم  
الرجال في لبنان ، سواء كانوا حكاماً او سياسيين ، ادياء او شعراء ،  
موراثية صادقة ، يتأسس فيها الخلف عن السلف ، مواضع القوة  
والضعف ، والهدى والضلال .

والانسان عقل وروح ، كذلك الامم .

فلا حياة لامة لا يسيطر عليها :

العقل - الذي يوجهها الى الحقيقة والعلم المعرفة .

والروح - التي تحملها على حب بيتها ، والتعلق بتقاليدها ،  
وحفظ اثار النوابع من ابنائها .

من اجل هذه الاهداف كلها ، اعتقد ان الجهود التي بذلها  
حضرة المؤرخ المدقق ، الاب بطرس فرج صغير ، في نشر تاريخ رجل ، هو  
رجل لبنان الاول ، دون جدال ، هي جهود عظيمة وطنية مثمرة ، وهي  
خدمة جلي للنشء اللبناني الجديد ، تقبل على من الاجيال ، موضع  
التقدير والاحلال .

نجد الى التلمع معلوف





## امير لبنان

قصيدة في الامير بشير الدكتور حبيب ثابت  
وهو علم من اعلام الطب والعلم والادب وشاعر  
لبناني كبير له مؤلفات عديدة في الشعر والنثر منها :  
الصحة والجمال في الطب ، عشقوت وادونيس ،  
الزمرة الاولى من ازهار الصبا ، وهذه القصيدة  
وضعها شاعرنا الكبير يوم تقلت رفات الامير من  
الاستقامة الى لبنان .



الدكتور حبيب ثابت

ملاء الشرق روعة ووقارا	وحى الملك قاهراً جبارا
ومشت حوله الدروز وكأنت	تتفاني في حبه والنصارى
تهادى السيوف زهواً حواليه	وتعشي الى العدو اقتصارا

...

صدره المعقل الحصين وتلقاه	اذا جئت في الخنو مزارا
خلعت لحيته في هيبة العمر	عليه فوق الوفار وقارا
انفه الشامخ الاشم وعينه	شرار اما لمحت الشرارا ؟
وعلى الحاجبين من غضب الحق	انقفاض شد الرماح إبطارا
وخطوط الجبين تقرأ فيها	كيف كان الامير او كيف صارا

...

ساس لبنان عادلا مستبداً	لم يحجر حكمه بل العدل جارا
-------------------------	----------------------------

انما الحكم قوة تمسك الناس  
وضعيف الجناح من خاف يوم  
قال للظلم انت ظلم ولم يجزع  
هادن الدهر ساعة فتعالى  
وطوته الايام ظلماً وقدماً

...

استمع صوت الامير ينادي  
قد تمنيت ان اعود الى اهلي  
على سكتاي في الثرى توفظ

...

يا خيال الامير في القبر راح  
واخلع الليل عن منكباتك السماء  
وازل الدار بالعرين وارجم  
قنرى القصر في «بتدين» زهو  
ونرى الناس خشعاً من حو اليك  
يسفكون الدماء وهي غوال  
ونرى الشعب سيذاً مستقلاً

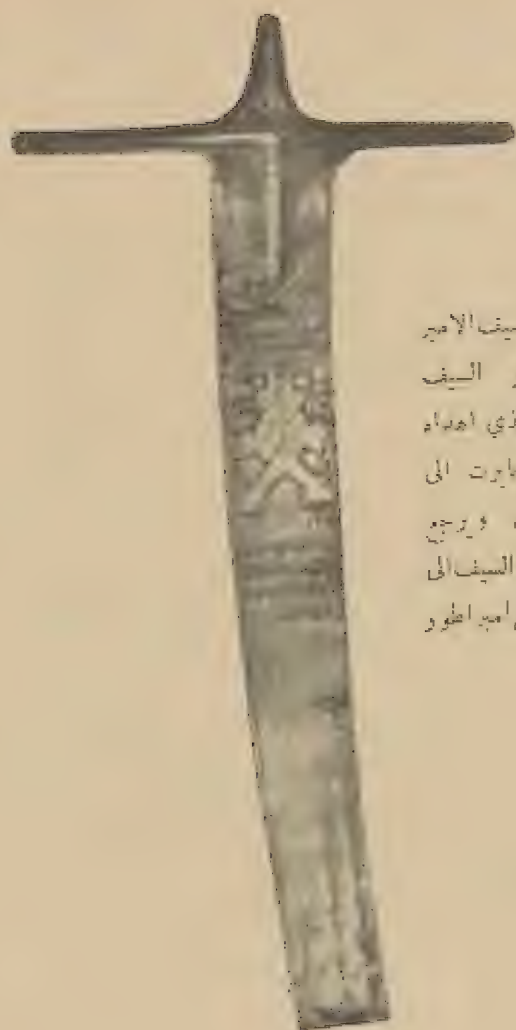
...

«قاعة» المجد لا تذني لضم  
كان بقيالك رغم انف اليبالي  
واسلحي شاهداً يقص ويروي

المركنور هيب ثابت

٢٠٠  
 منظر من جبل القنطرة في البحر الأحمر  
 من سفح جبل القنطرة





رسم سيف الامير  
 بشير وهو السيف  
 التاريخي الذي اهداه  
 القائم بولايته الى  
 امير لبنان ورجع  
 تاريخ هذا السيف الى  
 ابنان الهائل امير بطور  
 روسيا .



## المقدمة

### في مجلس الصدر الاعظم

« والله لا اعلم ما الذي اوقفني رغم ارادتي حالما شاهدت وجه هذا الرجل . ولم اكن اظن ان على وجه الارض رجلاً بهذه الهيبة » .  
هو الجواب التاريخي الذي نطق به منذ نحو مائة سنة روعوف باشا الصدر الاعظم وهو رئيس وزراء الدولة العثمانية في الاستانة ، اي اسطنبول ، وقد وجهه الى من حوله من ارباب مجلسه العالي الذين دعاهم لمشاهدة حاكم شير لاهندي المقاطعات التابعة للدولة العثمانية غلب على امره فاضطر ان يعتزل الولاية وارغم على ان يقادر بلائه بعد ان حكمها السنين الطوال وان ينهي حياته متفياً في المكاف الذي يختاره . فسافر الى الاستانة واحب الإقامة فيها . فاستدعاه الصدر الاعظم المذكور ورفعت باشا مشير الخارجية الى الباب العالي لمقابلتها . وسبق الصدر وامر ارباب مجلسه انهم متى دخل هذا الزائر لا يقفون له تحفيراً لان الصدر الاعظم كان ينفر من الحاكم لاتحاده مع اعداء الدولة . فاجاب اعضاء المجلس سمعاً وطاعة . واستعد الحاكم للمقابلة

ودخل القاعة الكبرى . وكان وقوراً مهيباً ذا منظر جليل يستدعي الاحترام من كل ناظر اليه وقد زاده هيبة الشيب واتساع حليته واسترسال شعرها على صدره . فلما رآه الصدر الاعظم داخلا بهذا المنظر المهيب تهيّب واذا به ينهض اجلالا له ويقف اولاً فوقف سائر الجلّاس . فأكرم الصدر وفادته وحيّاه بالسلام واجلسه مجلس العظماء . فتبنيه الجميع متعجبين مما كان . وبعد ان قضى الحاكم مدة يتحدث معهم في شؤون مختلفة استأذن وانصرف لمقابلة مشير الخارجية فقال بعض كبراء الديوان للصدر الاعظم سائلاً : « لماذا نهضتم لهذا الرجل بعد ان امرتم بعدم القيام ؟ » فوجه الصدر الاعظم اليهم الجواب الذي صدرنا به هذا المقال .

ان ذلك الحاكم كان منياً مجرداً من كل سلطة مفضوباً عليه مع بلاده من الدولة فضلاً عن ان الصدر الاعظم لم يكن ليقف لأحد من غير الوزراء ولا سيما اذا كان الوافد مسيحياً . فتأمل بمقدار هيبة ذلك الحاكم وقد كان مسيحياً . فلا شك في ان قد حضر على لسان القارىء اسمه وهو الامير بشير شهاب الشهير المعروف بالمالطي الذي حكم لبنان اثنتين وخمسين سنة وهو يعرف بالقاب مجيدة غير ما ذكر وسترها في بدء الفصل الاول من هذا الكتاب الذي يلذ لنا نشره لمناسبة مرور قرن على وفاة الامير ، ونحن لا ندون فيه الا ما هو مقتبس من المصادر الثابتة .

قالوا ان ذكر العظماء في كل امة دين على الشعوب وغذاء لحياتها  
وفضائلها . فكيف بذكر الامير بشير وهو من اعظم رجال لبنان بل  
اعظمهم قاطبة . لذلك بلد لنا التحدث عنه مع ابناء لبنان وغيرهم من  
ابناء الشرق لانه منجرة للشرقين عامة . امير يعتبره التاريخ مثال الحاكم  
العاقل درة الاسرة الشهامة وفخر الطائفة المارونية من كسا لبنان خير  
وشاح من المجد فيه يغتر الوطن وهو اعظم ابنائه .  
اهم مصادر هذا الكتاب :

« اخبار الاغنيان في جبل لبنان » لطنوس الشدياق .  
« الفرر الحسنان » للامير حيدر شهاب . طبعة بيروت ١٩٣٣  
وخاصة كتاب الكولونيل شرشل المعنون « جبل لبنان » طبع في لندن  
١٨٥٣ وما اخذناه عن كتاب شرشل لم ينشر بعد بالعربية على ما نعلم .  
فنبداً وبالله المستعان .



# الجزء الاول

## حياة الأمير بشير

قبل استلامه الحكم ( ١٧٦٧ - ١٧٨٨ )

القاب الأمير بشير - مولده - الامراء  
الشهابيون - مذهبته الديني - مريته  
ووصيه - كفة الأمير - الأمير بشير في  
العاصمة - زواج الأمير بشير .

### ١ - القاب الأمير

حكم الأمير لبنان نحو نصف قرن بحكمة وحزم فائقين حتى خصه  
التاريخ بالميزة السامية التي خص بها بعض الملوك العظام لانه من اكفائهم  
اي لقب « الكبير » اسوة بقسطنطين الكبير اول امبراطور روماني  
مسيحي ، وشرلمان او شارل الكبير امبراطور المغرب ، والفرد الكبير  
مؤسس دولة الانكليز ، والبابا غريغوريوس الكبير المصلح العظيم ،  
والقيصر بطرس الكبير مؤسس دولة روسيا الحديثة .  
وكثيراً ما اكتفوا بقولهم « الأمير » فيفهم السامع والقارىء



من يعنون على حد ما قال الشيخ ناصيف اليازجي في قصيدة عامرة :  
« اذا قلت الامير ولم تسمّ فلا يحتاج سامعك السؤال »  
واما لقب المالطي فهو نسبة الى جزيرة مالطة التي اختارها الامير  
اولا محلا لاقامته بعد اغتراله الحكم سنة ١٨٤٠

ويسمى احيانا الامير بشير الثاني اذ قد سبقه بهذا الاسم نسيبه  
الامير بشير الاول ( سنة ١٦٩٧ الى سنة ١٧٠٦ ) وهو اول من  
حكم لبنان من الاسرة الشهابية بعد انقراض المعنيين . وقد خلف  
الامير بشير المالطي نسيبه الامير بشير الثالث المعروف « بابي طحين »  
لكثرة توزيعه الطحين على المحتاجين ولم يحكم الا زهاء سنتين فقط  
( ١٨٤٠ - ١٧٤٢ ) وقد انتهت فيه حكومة الشهابيين في لبنان بعد ان  
استقرت زهاء مائة واربعين سنة ، ومن هنا القول المأثور : « اولها  
بشير وآخرها بشير » . ومن القاب الامير بشير المالطي « ابو سعدى »  
نسبة الى اسم كبرى ابنتيه المدعوة سعدى .

## ٢ - مولد الامير ونسبه

غزير البلدة اللبنانية الجميلة تقع في وسط مقاطعة كسروان  
مشرفة على البحر المتوسط تزهو منازلها البيضاء بين الاشجار  
والجنانين . واذا اقتربت من هذه المنازل تبدو لمينك مظاهر القدم على  
بعضها . ولا غرو فقد كانت غزير طيلة اربعة اجيال قاعدة كسروان

اتخذها حكام البلاد مركزاً لحكوماتهم ومسكناً لعائلاتهم من الامراء  
التركان بني عساف الى المشايخ آل حبيش الى الامراء الشهابيين الى من  
تولى الحكم من بعدهم . فهناك آثار قصورهم ودورهم وبقايا الاعمدة  
والحجارة تشهد على ما كانت عليه من الرقي والعز والفضامة .

الا ان نظرك تلفته دار متسعة الارزاء انيقة يعجبك بناؤها  
وجدرانها القديمة السمكية تحوط بها اسوار عالية وبالقرب منها ميدان  
فسيع فيه معين ماء يصب في جرن كبير مستدير ملئت الايام ملساً  
دائره العليا . واذا دخلت هذه الدار تسير في مماش تعلوها القناطر  
المتينة فيها نور ضئيل يأتيك من منافذها الصغيرة وهنا وهناك قطع  
من الرخام وكتابات عربية فتشعر انك امام عظمة بائدة . ولا غرو فان  
في قصر قديم تاريخي بناه منذ مائتي سنة احد الامراء الشهابيين ، فيه  
كان مولد اعظم ابناءهم الامير بشير شهاب الكبير الذي ملا اسمه تاريخ  
النصف الاول من القرن التاسع عشر وقد ابصر النور في ٦ كانون  
الثاني سنة ١٧٦٧ . ثم اتصلت هذه الدار الى الالباء اليسوعيين منذ نحو  
مائة سنة وحولوها معبداً لم يزل منها صافياً للعلم والتقى . (١)

---

(١) : ليس من وثيقة خطية تبين محل مولد الامير بشير بل العبرة في  
ذلك على النقل . ولذلك ارتأى بعض الكتاب الافضل غير ما ارتأينا واعتناه  
هنا استناداً الى مادونه الرواة النفاة . فمنهم من قال ان محل مولده هو المكان  
الذي تحول الى دير الالباء اليسوعيين المعروف في حوزر ، ومنهم من ارتأى انه  
ولد في دار قريسة من دير الالباء اليسوعيين ، ومنهم من قال انه ولد بجوار

واسم والد الأمير بشير الأمير قاسم ابن الأمير حيدر شهاب ،  
وامه ابنة عمه الأمير منصور شهاب حاكم جبل لبنان ، وكان الأمير  
قاسم متولياً على غزير اقطعه اياها الأمير منصور لاسباب سياسية بعد  
ان ازوجه ابنته .

فانتقل اذ ذاك الأمير قاسم الى غزير وتوطن فيها ورزق فيها  
اولاده الثلاثة الأمير حسن وابنة ثم الأمير بشير .

### ٣ - الامراء الشهابيون

ان الامراء الشهابيين سلالة اسرة اسلامية تتصل ببني قريش  
قبيلة نجد صاحب الشريعة الاسلامية ، وامم جدهم مالك الملقب بشهاب  
قدموا من الحجاز الى حوران في القرن السابع للمسيح في ايام  
الفتح العربي ، ثم انتقلوا في القرن الثاني عشر الى وادي التيم وقطنوا  
حاصبيا وراشيا وتقربوا من الامراء المعنيين حكام الشوف في ذلك  
العهد ، وكان بين الاسرتين عهود ومودة ومحالفة زادت توثيقاً بتبادل

---

مدرسة الزار ولرأي كل منهم اعتبار وسند له قيمة .  
واذا قل قلنا ان دير الآباء اليسوعيين هو الدار التي بناها الأمير حسن  
محقق الأمير بشير قلنا ان ليس في هذا ما يضعف الرأي الذي اتبعناه لانه حسب  
هذا الرأي ، ان الأمير حسن اضاف الى دار والديه أبنية جديدة وأصلح ما كان  
متدوراً فيها فجاء عمله بمثابة بناء جديد جميل ، والله أعلم .

الزواج بينهما حتى صارتا كأنهما واحدة .

ثم امتد حكم آل معن الى كل لبنان وظل مائة وثمانين سنة ، ولما انقرضت سلالتهم بموت آخر حاكم منهم الامير احمد معن الذي مات بدون عقب سنة ١٦٩٧ قام مكانها بحق الميراث الاسراء الشهابيون واستلموا زمام حكم لبنان ، وقد تم انتقال الولاية اليهم على الشكل الآتي : قلنا ان الامير احمد معن مات بدون عقب الا ان كان له ابنة واخت قد تزوجتا اميرين شهابيين ، فزوج ابنته كان حاكم راشيا له منها ولد اسمه الامير حيدر لا يتجاوز الثانية عشرة من عمره ، وزوج اخته كان حاكم حاصبيا له منها ولد اسمه الامير بشير . فمن ثم ، وعملا بحقوق الاستقلال القديم والامتيازات التي اقرهم عليها السلطان سليم الاول لما فتح مصر وسوريا سنة ١٥١٥ ، اجتمع اعيان لبنان من اسراء ومقدمين ومشايخ وتشاوروا في من ينتخبون حاكما على لبنان ، فقر رأهم على ان يكون الحكم لآل شهاب وورثة آل معن واتفقوا على الامير بشير المذكور لانه ابن اخت الامير احمد معن ولاسيما لان ابن ابنته كان قاصراً .

فتوجه منهم وفد الى راشيا وآتوا به الى دير القمر قاعدة البلاد ، فاستقبله الناس بالمر وبأيامه الولاية واعترفت تركيا بالحاكم الجديد واقرته وانعت عليه بواسطة معتمدها والي صيدا بمعد التولية او الفرمان وبالخلعة ، وهذه تكون عادة فروا ثميناً او شقة ثمينة . وبعد وفاة الامير بشير انتخب الاعيان الامير حيدر السابق ذكره . ومن



بعده حكمت سلالة الى ان انتهت سنة ١٨٤٢ بالامير بشير الثالث  
« ابي طحين » بعد ان حكمت مائة وخمس واربعين سنة .

ولما استلم بنو شهاب الحكم اقتدوا بجمعة التسهل التي كان نهجها  
آل معن ، وتقربوا الى نصارى بلادهم وانتقوا منهم سائر كتابهم  
ومهدي اولادهم ومنفذي احكامهم ومدبريهم ، ولا سيما من الموارنة  
الذين اتخذتهم الاسرتان عوناً لهما في كل امورهما ، وكان مدبر الامراء  
يسمى كاخية توازي وظيفته منصب رئيس الحكومة او رئيس الوزراء  
في عهدنا ، واشهر مدبري المعنيين الحاج ككيوان الماروني الديواني  
مدبر الامير فرقاس والدنفر الدين الشهير والكافاليار ناضر صغير مدبر  
الامير احمد آخر المعنيين ، وناضر هذا هو الذي وقف املاكه واسس  
دير الرومية في القليعات كسروان . واشهر مدبري الشهابيين الشيخ  
سعد الخوري جد اسرة آل سعد وابنه الشيخ غندور ومن احفادهما  
المفخرة اللبنانية المرحوم حبيب باشا السعد عم الوطني الهمام امين بك  
السعد الموصل تقاليد اسرته المجيدة في خدمة لبنان .

#### ٤ — مذهب الامير بشير

ان الشهابيين لكثرة اختلاطهم بالنصارى وقفوا على مبادئ الدين  
المسيحي فدانوا به الواحد تلو الآخر ومثلهم فعل الامراء الحمصيون  
الذين كانوا من الطائفة الدرزية وبدأت حركة تنصرهم في اوائل القرن

الثامن عشر وللهبانية الأنطونية المارونية المعروفة برهينة مار اشعيا  
( برمانا ) يد جلى في تنصر امراء لبنان وهم ينتمون الى الطائفة المارونية  
ما عدا افراد قلائل اعتنقوا الطقوس الملكي منذ عهد غير بعيد .

واما الامير قاسم والد الامير بشير فقبل مولد ابنه هذا بثلاث  
سنوات استدعى لديه في غزير المطران يوسف اسطفان القسطاوي  
الماروني الذي صار فيما بعد بطريركاً على طائفته وطلب اليه ان يعلمه  
معتقدات الدين المسيحي وامراته الست اسما وبعد ان فقهها وتحقق صحتها  
اقتبل سر العهاد مع زوجته وولديه الاكبرين . ولما ولد الامير بشير تصد  
مسيحياً مارونياً كأهله وكان تنصيره في كنيسة سيدة الابرار التي اقامها  
لابناء ملتهم المشايخ آل حبيش في القرن الرابع عشر ولا تزال الى الآن  
معروفة بهذا الاسم في غزير .

شغل الابتهاج هذه البلدة وضواحيها لدى ميلاد الامير بشير الا  
ان هذا الابتهاج لم تطل مدته لان الوفاة ادركت والده الامير قاسم  
ثلاثة اشهر ونصف بعد ولادته فتبدل الحزن غماً . كما ان والدته تزوجت  
بعد وفاة والده بالامير سيد احمد شقيق الامير يوسف حاكم البلاد .  
وهكذا قضت الايام ان يبيت الامير بشير يتيم الاب وشبه يتيم الام  
معرضاً كأمثاله ان ينشأ كما تشاء الظروف وتبقى اخلاقه بحسب ما تشاء  
القطرة . الا انه لحسن طالع لم يبلغ هذا الحد ولو انه بقي من ذلك  
بعض الاثار لان العناية انعمت عليه باثنين استعاض بهما عن والديه لوصح  
ان يكون في الدنيا ما يقوم مقام عين الاب وقلب الام . ولكن هيهات !

## ٥ - مربية الأمير بشير ووصيه

بعد وفاة والد الأمير بشير احتضنته امرأة أرملة تدعى مرحبا من بني البشعلائي من صليبيا التي كانت في خدمة أبيه وبقيت قائمة على تربيته وخدمته وكان يعتبرها ويدعوها أمه حياته كلها . وفضلا عن ذلك كان أبوه الصالح لما علم بدنو أجله أقام وصيا عليه وعلى أخيه الأمير حسن وقيا على أملاكهما الشيخ منصور الشدياق من عشقوت ووكلاهما مع والديهما إليه ليعتني بتربيتهما تربية مسيحية . وبعد سنة استعفى الشيخ منصور من الوصاية فأقام مكانه البطريرك يوسف اسطفان وصيا عليهما صديقه الشيخ بطرس نوفل الخازن من القليعات كسروان لما كان يبعد فيه من الفضل والفضيلة وحصافة الرأي فاعتنى خير عناية بتربيتهما وتلقينهما العلوم لما كان يحفظ له الأمير بشير أجل ذكرى حتى أنه أيام كان في أوج العز لم يزل يذكر السنديانة العظيمة الدهرية التي كانت ولا تزال أمام بيت الشيخ بطرس فكان الأمير كلما سنحت الفرصة يسأل عن تلك السنديانة ويوصي بالحرص عليها لجمال منظرها وموقعها ولأنه قضى شطراً بديعاً من حياته تحت ظلها .

ومثل وفاته نحو وصيه كان وفاؤه نحو مربيته فإنه لم يرض بأن تفرق عنه قط . ولما تسلم زمام الحكم واشتهر اسمه كانت مرحبا تسكن معه في قصره لها نفس المنزلة التي لأفراد أسرته . وقد زاد اعتبارها لها بعد هذه الحادثة وهي أن بعض خصوم الأمير أرسلوا رجلاً اسمه فارس

الحكيم ليفتك به فاحتال حتى دخل ليلا غرفة محاذية غرفة الامير ،  
ومن الغريب انه لم يشعر به احد الا مرحبا التي افاقت حالا ورأت  
الرجل يتناول طينجات الامير المعلقة على الحائط ، فتملقت باثوابه  
ورفعت صوتها مستغيثة ، فعضها الاثيم بيدها ودفعها عنه ونجا بنفسه  
فسقطت هي لا تمي فشمع الامير بحركة ونادي « مرحبا امي » فلم تحب  
فنهض حالا وحدثته مرحبا بما جرى فيث العيون وقبض على الجاني  
الذي اقر بفعلته ونال ما يستحقه من العقاب . فزادت منزلة مرحبا علاء  
لدى الامير بعد هذه الحادثة التي كان لا بد من تدوينها للتاريخ اشارة  
بذكر تلك المرأة اللبنانية الباسلة الامينة التي بخدمتها امير لبنان  
وحرصها على حياته الثمينة منذ ولادته الى آخر عمرها سجلت لنفسها  
ذكرا طيبا وفضلا على ابناء لبنان لا يخاله يقل عن فضل امهات وشنطون  
ولنكلن واديسون وباستور وغيرهن ممن رين للوطان رجالا عمروها  
وللبشرية علماء فعموها . وقد لاحظ المؤرخ المدقق الخوري اسطفان  
البشعلاني راوي هذه الحادثة ان امانة مرحبا كانت من اسباب تقرب  
بعض افراد الاسرة البشعلانية من امير لبنان فكان كثيرون منهم في  
خدمته ومن خاصته . وقد كانوا لعمري شهودا حية على نبيل عاطفة  
الامير وتقديره المعروف . ومن هذا القبيل النادرة الطرفة التالية  
وقع اول فصل منها في حادثة الامير لذلك نوردتها الا ان .



## ٦ - كعكة الأمير

بعد وفاة والده لبث الأمير بشير وأخوه في غزير إلا أن وصيهما كان ينزل بهما إلى برج البراجنة قرب حدث بيروت حيث كانت والدتهما ثم يذهبون إلى بشامون وبيت الدين حيث كان للأميرين أرزاق .  
وكان الأمير الصغير بشير يلفت الأنظار بما كان عليه من حدة الذكاء وخفة الحركة وسرعة الإدراك والانتباه إلى كل ما يجري أمامه وكان القوم خاصة يعجبون بتلك القوة الساحرة في عينيه فيستميل قلوبهم ومن هؤلاء رئيس دير مار انطونيوس في قرية سير في الشوف كان بينه وبين والد الأمير بشير علاقات ودية قديمة فأخذته معه إلى الدير ليروح النفس مدة الصيف وعهد إلى أحد أخوة الدير أن يعنى بأمرة .

وهناك أمام الدير في ساحة فسيحة تحف بها الأشجار كان الأمير الصغير يجتمع مع أترابه يلعبون . فاتفق يوماً أن وقف عليهم بائع كعك فأحاط به الصبية يشترون ، ولم يكن مع الأمير إذ ذاك دراهم فأنزوي محولاً وجهه عن الأولاد ، وكأن الحنان لمس قلب بائع الكعك ولا سيما أنه شاهد على وجه ذلك الصبي إمارات النبيل وكرم النفس ، فأخذ كعكة وقدمها له فرفضها الأمير باباء ، فالج البائع وقد لحظ تأثير عمله في تلك النفس الكبيرة وقال : بحقك يا سيدي أقبلها مني ولا تهجلني أمام رفقاك . فتناولها منه الأمير الصغير بهدوء ولو مرغماً



وشكر البائع وانصرف بسرعة...

اربعون سنة مضت على تلك الحادثة وقد بلغ الامير اوج عزه ومجده . وكان يوماً في قاعته مرتاحاً الى مجالسة امثاله واذا بحيلة يسميها في باحة القصر فاستكرها وسأل حاجبه عن جلبيتها فالباه ان هناك شيخاً بائع كعك يماحكه احد الخدم فاستدعاه اليه فحضر البائع مدعوراً غير ان الامير طيب خاطره ولاطفه فاخذ البائع يتشكى من ظلم احد الخدم . وكان الامير يحدق في وجه البائع ويتأمل طويلاً بدقة وامعان ثم انفرجت ملامحه وقال : هل تعرفني يا عم ؟ قال : دام عزك مولاي ومن لا يعرف الامير بشير . قال : وهل كنتي قبل الان ؟ قال : لم اسعد بهذا الشرف . قال : الا تذكرولداً صغيراً اهديت اليه كعكة تحت سنديةانة ديسير من نحو اربعين سنة ؟ فاطرق البائع بنظره الى الارض ثم اجاب : نعم . قال الامير : انا ذلك الولد... فحدق الشيخ الى الامير... وبينما كانت تهدة عميقة تتصاعد من صدره كانت دمعتان صاغيتان تتفرقان في عينيه . قال الامير : بارك الله بك يا عم فقد حان الآن وقت تأديتي لك ثمن الكعكة . اعلم ان الاحسان لا يضيع . وانعم عليه بمعطية جزيلة تكفيه تعب الكدح وبيع الكعك . جميل هو الوفاء في عرفان الجليل واجمل منه الاحتفاظ به في قلوب العطاء حياتهم كلها ولو مالت ..

## ٧ - الامير بشير في العاصمة

بلغ الامير بشير السادسة عشرة من عمره ولم يزل مسكنه في

غزير فرأى ان ينتقل الى ساحل بيروت ، فرحل مع مريته مرحبا  
ونسكن مدة في برج البراجنة على مقربة من الحدث حيث كان يذهب  
لزيارته أمه والى إشامون للصيد الذي كان مولعاً به . وقد كان قوي البنية  
تظهر عليه علام النجابة والادراك . ثم انه بعد مدة عزم على مغادرة برج  
البراجنة وابداها فكان يجد فيه ميداناً واسع للعمل . فحزم امتعته على  
ناقة وركب عليها مريته مرحبا كأم له وسار معها الى بيت الدين واذ  
لم يلاق فيها مسكناً يلائمه ذهب وقطن خير القمر مع اخيه الامير حسن  
وفي نفسه طموح وآمال لا يتسنى له تحقيقها في مكان افضل منها لانها  
عاصمة البلاد ، والحاكم يومئذ الامير يوسف شهاب من اقاربه الاديين  
وفيهما كثير من ابناء شهاب ايضاً وهي تضيق على من كان يأتيها كل  
يوم من مختلف الانحاء من اصحاب الدعاوي والمصالح وارباب المأرب  
والاحزاب والزعماء وذوي الطموح وطلاب الوظائف الى غيرهم من  
كان يلتقي بهم الامير بشير كل يوم . ولم يلبث ان اخذ يتدخل بالشؤون  
تدخلها اكسبه ثقة الناس ومحبتهم لما كان يبديه من ضروب المروءة  
والمروءة والنشاط رغم ما كان عليه من ضيق ذات اليد . ولم يك يخفى  
على الامير بشير ان في البلاد اخصاماً للامير يوسف يعملون على اثاره  
الفتن وان له ايضاً انصاراً مخلصين فكان ان انضم الامير بشير الى  
الاخصام وانضم اخوه الامير حسن الى الانصار . وكان ابناء الاسره  
الجنبلاطية الدرزية وهم من اخصام الامير يوسف معجبين بالامير بشير  
يعملون على استمالته اليهم ويقدمون له الخدم والمساعدات وفي نيته

ان يجعلوه مزاحماً للامير يوسف على الولاية . ولم يعض زمن طويل  
حتى بلغ الامير يوسف ان الامير بشير منضم الى اخصامه ولا عجب  
ان اثار ذلك حنقه .

وكان الشيخ سعد مدير الامير يوسف عارف بامر الضغائن في  
قلب الاميرين وهو يسعى في ازالها بحكمته المشهورة واذ كان الامير  
يوسف يظهر امامه استياءه من الامير بشير قال له الشيخ سعد : ان  
الامير بشير يا مولاي في قبضة يديك وقد يكون ضيق ذات اليد هو  
الذي دعاه الى الاشتراك مع اخيه مالك فالأحرى ان تسكته بتعيينه في  
خدمتك ، وهنا كثير من الخيل فارى ان ترسل له فرساً وتستدعيه  
اليك وتستفيد من خدمته . فاستصوب الامير يوسف رأيه وامر ان  
يعمل بما اشار به . ولما وصل الرسول الى الامير بشير وبلغه ارادة  
الحاكم قال له الامير بشير : ان هذه الفرس وعدتها ليستا من مقامي  
فارجعهما الى الذي ارسلهما . فتردد السائس في تلبية الامر . فزجره  
الامير بشدة وتهدهه نخاف واضطر ان يعود ويخبر الامير يوسف وكان  
الشيخ سعد حاضراً فقال هذا للامير :

- اني ارى ان الامير بشير مصيب برفضه هذه الفرس لان عندنا  
خيلاً وعدداً خيراً منها فلترسل له فرساً من جياد الخيل وعدة من انحر  
العدد .

ففعّلوا ذلك وحضر الامير بشير وقابل الحاكم وزالت الضغائن

بفضل الشيخ سعد، وعهد الامير يوسف الى الامير بشير بعمل يقوم به  
مع اخيه الامير حسن ، وأعجب بخدمة الامير بشير وكان يرسله بالمهام  
العسيرة فيعود مكللاً بالنجاح واصعب هذه المهام واظرفها ايضاً هي  
التي يلي ايرادها .

#### ٨ - زواج الامير بشير

توفي احد الامراء الشهابيين في حاصبيا ، وهو زوج ابنة اخي  
الامير يوسف الاكبر ، فوقع اختلاف بين ورثة الامير وارملته  
واستحكم الشقاق بينهما ولم يقدر احد على ازالته . فرأى الامير يوسف  
ان يرسل الامير بشير بهذه المأمورية الدقيقة والخطيرة على يقين انه  
يصلح بين الفريقين وكلاهما عزيز لدى الحاكم . فعالج الامير بشير  
القضية بحكمة وروية فالتفتين حتى توصل الى حل رضي به الفريقان  
الرضى التام ، فضلاً عن ان مأموريته اسفرت ايضاً عن نتيجة اخرى  
حميدة ، وهي زواج الامير بشير بالارملة المذكورة فعاد معها الى دير  
القسر ، وكانت ذات ثروة وافرة فاعنت زوجها اذا اشترى من مالها بيت  
الدين ومزرعة الجيه وبه استعان في شؤونه الادارية والسياسية . وكانت  
هذه الاميرة مساهمة مثل اهلها فما لبث ان اوقفها زوجها على تعاليم الدين  
المسيحي فتحصرت ، وبارك الله زواجها فزرعا اولاداً ثلاثة الامير قاسم  
والامير امين والامير خليل . وقد ورد في كتاب الكولونيل شرشل



عن اعتبار الامير لزوجته ما يلي :

« ولما انتابتها الاسقام في اواخر حياتها وكدرت صفاء عيشها لقيت ما فرج كربتها في عطف الامير وحنانه واهتمامه المتواصل براحتها » وقد جاءت رواية شرشل مطابقة لما ذكره المؤرخون عن حب الامير واعتباره لزوجته الاولى ( الست شمس ) مع سعيه ليجعل لها الحياة سعيدة هنيئة رغم ما كان هنالك من الدسائس بحيث انه لم يصدر عنه قط ما اثار في نفسها كدراً او غيرة . ولما طعنت في السن واضنتها الامراض لم تضعف عاطفة الامير احداً بل انه كان يقوم هو نفسه بخدمتها . ولما توفاه الله سنة ١٨٢٩ اقام لها مدفناً لائقاً في سراي بيت الدين . ولما نقلوا رفات الامير في الصيف الماضي من الاستانة وضعوه في قبر بجانب قبرها .

ويشاهد ضربها في سراي بتدين والصلاب عليه وقد حفروا على

بالإضافة الضريح الايات التالية :

هذا ضريح قد غدا      روض نعيم مستطاب

قد اغربت ( شمس ) الضحى      فيه قمعنا النور غاب

فغادرت كوكب ال      احباب في آل شهاب

فعزها قد ارخوا      باق توارت في الحجاب

وبعد وفاة زوجته باعوام رغب الامير بشير ان يقترن بالزواج

ثانية ومثله ابنه البكر الامير قاسم الذي كان تزوج وماتت زوجته .

غير ان الامير بشير جزم برأيه السيد ان لا يكون زواجهما بقتاتين



من لبنان كيلا يكون لاهل الزوجة سبيل لاعداخلة في امور الحكم  
وعرقلة الادارة ولا سيما في تلك الايام المملأ بالدسائس والمطامع .  
فارسل جوهريه الى اسطنبول يستحضر منها فتاتين من بنات الشر كس  
بعد الاتفاق الوافي معها ومع اهلها على مصيرهما . وبعد وصولهما الى  
لبنان بمدة استدعى الامير بشير اسقفا ارمينيا كاثوليكيها من دير بزمار  
كسروان اسمه المطران يعقوب يتقن اللغة التركية ، وهي الوحيدة التي  
تعرفها الفتاتان ، وباسم الامير بشير كاهنهما المطران باصر تعليمهما مبادئ  
الدين المسيحي على امل اعتناقه فرضيت الفتاة المعدة للامير قاسم اما  
الفتاة المعدة للامير بشير واسمها حسن جهان فلم ترض . فلم يشأ الامير  
ان يتزوجها فطلبت ان تبقى في قصره تؤدي ما تقدر عليه من الخدم  
في المطبخ فسمح لها بذلك . وبدأ المطران يعقوب يعلم الفتاة الاولى  
التعاليم الدينية ولما اتقنتها قبلت سر العباد وتزوجها الامير قاسم . ثم  
ان حسن جهان سألت ان تعلم هي ايضا وتتنصر فتم لها ذلك وتزوجها  
الامير بشير ورزق منها ابنتين هما الاميرتان سعدى ( ولذلك لقبوه  
بابي سعدى ) وسعود .

ولم يكن زواجه الثاني اقل هناء وتوفيقاً من الاول اذ لم يحصل بين  
الامير وزوجته الشركسية ما يكدر الصفاء ، وقد رزق منها الامير  
ابنتيه سعدى وسعود كما تقدم . وكان لحسن جهان زوجة الامير  
الثانية كلمة مسموعة لديه ونفوذ لم تكن لتستفيد منها الا في سبيل  
الخير ، كتخفيف صرامة الاحكام او تخفيف انقال الضرائب عن عوائل

ابناء لبنان ، فكان من ثم هؤلاء يجتهدون بايصال مطالبهم الى  
الامير على يدها . وهي قد جاوبت على عطف الامير وحبه باخلاصها له  
طول الحياة ، حتى انها بعد ان صرف الامير امواله كلها في منفاه على  
اسرته وحاشيته باعت حسن جهان البعض من مصاغها لتواصل القيام  
بالتفقات المذكورة ، وقد عرف لها الامير فضلها فاقامها وكيلة مطلقة عنه  
بعد وفاته كما جاء في البند الثالث من وصيته « قد اقتها وكيلة عني ...  
ولا احد من ورثاي ولا من خلافيهم له ان يتعارضها بشيء ... وهي  
الموصية على اولادي اولادها سعدى وسعود وتربهم بخوف الله تعالى  
وتجوزهم برضاهم وما لاحد له معها ولا معهم معارضة » . وبعد وفاة  
الامير عادت الى لبنان وعاد معها مرشد اسرة الامير الطوري اسطفان  
حبش وبقي في خدمتها الروحية الى ثمانية في الحية . وقد ابنت لها داود  
باشا اول متصرف على جبل لبنان اسنى مظاهر التجارة والاكرام واشترى  
منها قصر بيت الدين وجعله مركزاً للتصرفية . وكانت وفاتها سنة ١٨٧٥  
ويشاهد مدفنها في برج البراجنة قرب بيروت ، محفورة عليه هذه  
الآيات :

الا اعموا الدمع حسن جهان سارت عن الدنيا وجدت بالمسير  
لها مجد الامارة من شهاب قرينة سيد العليسا الشهير  
ومذ امت جنان الخلد تبغي لقاء قرينها المولى البشير  
فحازت في النعيم ارحت يسرا وقد باتت على اعلى سرير

## الجزء الثاني

الامير بشير في عهد استلامه الحكم ١٧٨٨ - ١٨٤٠

### الفصل الاول

كيف صار الامير حاكماً - ادوار حكمه الثلاثة

بعد ان عاد الامير بشير موفقاً الى دير القمر زادت شهرته اتساعاً وزاد ميل الناس اليه . وحدث ان الامير يوسف سنة ١٧٨٨ عزم على التنازل عن الولاية لانه وجد نفسه عرضة لمقاومة اخوته الذين نازعوه الحكم ولخاصة الجنبلاطين وثورتهم، ولبعض احمد باشا الجزائر الطاغية والي عكا وصيداء فضلاً عن انه يثق ان معظم البلاد غير راضية عن حكمه وقد سمئ وضجر من المنازعات التي قاساها مدة حكم طال ٢٥ سنة . فعملاً بتقاليد البلاد من اخذ رأي الامة في من يخلفه على الامارة جمع اعيان لبنان وذكر لهم متاعبه و اشار اليهم ان ينتخبوا لهم حاكماً سواه من ابناء عمه القاطنين في الجبل، خوفاً من ان يحكم احد امراء وادي

التيتم. وبما ان اولاده كانوا بعد قاصرين رشح لهم الامير بشير موضوع  
كتابنا هذا، وهو اذ ذاك شاب بافع لم يتم الحادية والعشرين من عمره،  
فلم يترددوا لحظة لانه كان على ما وصفه صاحب كتاب تاريخ الاعيان



الامير بشير الشاهي

«اميراً جليلاً وفتى  
نبلاً ذا سطوة ومهابة،  
وكان الجزار يعيل اليه  
كل الميل ويرغب في  
ان يجعله ولياً، وله معه  
الدسائس والرسائل  
بهذا الشأن وكان بين  
الامير بشير والقشة  
الجنيلاطية مخالفة  
وعهود».

فاحضره الامير  
يوسف و اشار اليه بان  
يتوجه الى الجزار

ويتوشح خلعة الامارة على البلاد، فابى الامير بشير الرضوخ مراعاة لشعور  
الامير يوسف نسيبه. فاعاد هذا عليه الكرة وقال: «انزل يا ابني الى عكا  
وتول مكاني». قيل ان الامير بشير اجابه: «اخاف ان انزل ابنتك



وارجع ابن الجزار « فاجابه الامير يوسف بكلمة تدل على بعد نظر وحرية  
مع كرم خلق : « لياكلها السبع ولا يأكلها الضيع » ومعناه انك  
انت احق بالولاية من غيرك .

فتوجه الامير بشير الى عكا في ٢٢ آب من السنة نفسها فاستقبله  
الجزار بالترحاب ، وفي آخر الشهر قلده الولاية على البلاد وارسله الى دير  
القمير مستصحباً اياه بالقوة الكافية لتساعده على تسلم زمام الحكم فحكم  
الامير بشير ومطال حكمه واستقام .

### الادوار الثلاثة

حكم الامير بشير لبنان مدة ٥٢ سنة جرت فيها حوادث حمة لها  
في تاريخ لبنان اهمية كبرى من حيث تأثيرها الشديد على مصيره لانها  
كانت اساساً متيناً وتمهيداً لاستقلاله الحاضر . ويمكن ان يقسم عهد  
حكمه الى ثلاثة اقسام او ادوار او ثلاثة حقبات :

الدور الاول - دور المتاعب والفن مدة ١٩ سنة من سنة ١٧٨٨  
الى سنة ١٨٠٧ .

الدور الثاني - السكينة والعز والسؤدد مدة ٢٥ سنة من سنة  
١٨٠٧ الى سنة ١٨٣٢ .

الدور الثالث - دور الحروب والتضحيات في سبيل الاستقلال  
التام مدة ثماني سنوات من سنة ١٨٣٢ الى سنة ١٨٤٠ وهو عهد  
الحكومة المصرية في لبنان .



ففي الفصول التالية من هذا الجزء نسرّد سياق مرور هذه الأدوار على سبيل الإيجاز وسنأتي في الأجزاء التابعة على ذكر تفاصيلها وطرائقها.

## الفصل الثاني

الدور الأول من حياة الأمير بعد استلامه الحكم ١٧٨٨ — ١٨٠٧

### دور المنازعات والقتال

ابتدأ الأمير بشير يقاسي المتاعب ويلاقي الفتن من يوم تسلمه زمام الحكم في لبنان ، إذ أن بعض الأمراء الشهابيين أنسبائه قاموا بإحوائه على الولاية استناداً إلى حقوق عائلتهم وينازعونه أياها منازعة متواصلة الواحدة تلو الآخر من الأمير يوسف نفسه ، وقد سبق خبر تنازله عن الحكم وتوحيده الأمير بشير ، إلى أولاده بعد موته بواسطة مدبريهم عبد الأحد باز وإخيه جرجس ، إلى ستة أمراء غيرهم يدفعهم إلى ذلك عاملان لا ندري أيهما أقوى وأفضل هما : الميل القطري إلى السيادة ويد السياسة التركية بواسطة عمالها ولاة سوريا وأخصمهم أحمد باشا والي صيدا . فهذا وصمه التاريخ بلقب يعيبه وقد استحققه وهو لقب « الجزار » ولا يعرف إلا به ومعناه القصاب أي الذي مهنته ذبح الغنم والبقر وما أشبه ، وقد لصق به هذا اللقب لأنه في أول أمره لما قدم إلى مصر من البشناق وطنه ( مقاطعة في يوغسلافيا ) دخل بخدمة

علي بك زعيم ممالك مصر وحاكمها، وكان هذا يرسله للتفك عن إ شاء  
 من اخصامه فيقوم بعمله بالسرعة والشراسة وصلابة القلب فسمي  
 عقوياً جزراً ثم فر من خدمة سيده وذهب الى اسطنبول. وبعد تقلبات  
 جمة كثرت فيها الخيانة والغدر اذا به يعين والياً على صيدا فاستغل موقفه  
 لأعمال الظلم والتخريب في لبنان، وسهل عليه ذلك لأن الامير اللبناني  
 بعد انتخابه حاكماً على لبنان كانت العادة المألوفة ان يطلب خلعة التثبيت  
 من السلطان العثماني فينالها بواسطة احد ولاة سوريا اخصهم والي صيدا  
 كما رأيت من انتخاب الامير بشير، فكان من ثم والي صيدا يفتح باب  
 المزاحمة ويحجود بالخلعة على من يحزل له العطاء دون التفت الى صفاته  
 او الى صالح الشعب. وكان فوق ذلك لا يزال همه في جعل البلاد ملعباً  
 للفتن والمشاغبات تحقيقاً لحلم لم يفارق مخيلة الدولة العثمانية قط وهو  
 القضاء على استقلال لبنان واخضاعه للدولة اسوة بباقي الولايات بحجة  
 قمع الفتن. وكان لبنان قدى في عيني الدولة لانه وحده بين كل الاقطار  
 العثمانية كان حائزاً على استقلاله النوعي منذ القديم فكان من ثم الولاية  
 المذكورة يسعون وراء تحقيق هذا الحلم بأنارتهم الفتن الاهلية وتقوية  
 حزب على آخر ثم مناصرة هذا على ذلك عملاً بالمبدأ الماسد المعروف  
 « قسم تسد ». لكن قد طاش سبهم ولم يبلغوا هدفهم لأن الامير  
 بشير فطن بنافذ نظره الى الفخ المنسوب له والى الاخطار المحدقة بلبنان  
 فتدارك الامر بحكمته وثباته الا انه من جراء تلك المنازعات قاسى من  
 الاهوال والشدائد الوائاً. وقد قضت عليه الحكمة في اطوار هذه

المنازعات ان تتخلى عن الحكم حقناً للدماء ويبأرح لبنان اربع مرات: مرتين الى حوران ومرتين الى مصر، فكان يستلم الحكم مزاحمه وكانت من ثم تملأ تشكيات الناس من سوء ادارتهم وظلمهم ويطلبون بالخارج رجوع الامير فكان يعود اليهم اشد قوة وعزاً . فصبر على القسوة صبر الكرام حياً بلبنان وضاً باستقلاله حتى تم له الظفر اخيراً على مزاحميه واخصامه لاسيما بعد موت الجزائر ١٨٠٤ فوقع بهم العقاب وعامل بالقساوة كل من كان منهم يحدث الشغب والقتال ، وهكذا توصل الى قمع الفتن وقطع دابر الفساد فاستقر له الحكم واستقل به وحده نهائياً سنة ١٨٠٧ وفيها يتبدى الدور الثاني .

## الفصل الثالث

### أهم حوادث هذا الدور

علاقات الامير مع نابوليون بوناپرت والكونمو دور سميث

يطول بنا ايراد كل الاحداث التي جرت في اثناء هذه الحقبة الاولى وقد كثرت فيها الاهوال والمصاعب على الامير بسبب تقلبات الجزائر وغدره لذلك تقتصر على ذكر حادث واحد منها له اهميته في حياة الامير ادى به الى رحلته الاولى الى مصر سنة ١٧٩٩ والى انشاء

العلاقات مع الكومودور سميت الانكليزي فني به حادث الحملة  
الفرنسية على مصر وسوريا بقيادة نابليون بونابرت .

### تولية مزاحي الامير بشير

لما كانت سنة ١٧٩٨ تغير الجزار على الامير بشير لاثام الجزار  
الامير بالاتفاق مع الفرنسيين ، وانحاز الجزار الى اولاد الامير يوسف  
مزاحي الامير على الحكم بمساعي مدبرهم الشيخ جرجس باز . وكانت  
الجزار قد امر بقتل الامير يوسف في عكا سنة ١٧٩٠ . واذا استند  
الى اولاده الولاية على جبل لبنان مكان الامير بشير كما تقدم كتبوا الى  
احزابهم يبشرونهم بذلك ، غير انه بلغ الجزار في هذه الاثناء وصول  
الجيش الفرنسي الى الاسكندرية بقيادة بونابرت الشهير المعروف باسم  
نابليون الاول ، فقلق بال الجزار واضطرب وحسب الامر الف حساب  
وعدل عن العزل والتنصيب وعن ارسال الامراء بالعسكر لاستلام  
زمام الحكم في لبنان . واما وصول الجيش الفرنسي الى الاسكندرية فهذه  
حكايته :

ان القائد الكبير بونابرت بعد ان خاض الحروب في اوربا ودوخ  
اعظم دولها الانكلترا ، وكانت هذه لا تزال تضرر لفرنسا المداء ،  
صمم هو النية ان يهاجم انكلترا في اعز مستعمراتها في الهند فيستولي  
عليها . لذلك بدأ بتمهيد الطريق في البلدان التي تفصلها عنها فجهر في



طولون احد المرافئ الفرنسية الحربية الكبرى جيشاً مؤلفاً من ٣٦ الف مقاتل وكثيراً من المراكب لنقل الجنود والذخائر وعدد الحرب .  
واردف بجيشه نحو مئة وعشرين معلماً بارعين في علوم وفنون مختلفة لاستقضاء احوال مصر وانارها.



نابوليون وجوزفين

وفي ١٦ ايار سنة ١٧٩٨ سار نابوليون بهذا الجيش دون ان يعلم احد وجهة سيره . فلما لبثت السفرة مرآكه امام الاسكندرية وانزل جنوده على مقربة منها في ميناء ابي قير ثم دخلها عنوة وواصل سيره الى القاهرة وفتحها ثم استولى على كل الاقطار المصرية . وكانت دولة تركيا في هذه الاثناء تستعد لمحاربة الفرنسيين واخراجهم من مصر وقد عرضت عليها انكلترا

وروسيا مساعدتها وأبرمت بين هذه الدول معاهدة ثلاثية في سبيل هذه الغاية وشرعت حالاً بتحقيقها .

اما بنابرث فاراد ان يباغت تركيا باخذه سوريا قبل ان تكمل استعدادها .



## حصار عكا

نهض بونابرت من مصر بطريق البر الذي يفصل مصر عن فلسطين ووصل الى العريش القاعة على حدودهما، واحتل غيرها من المدن والقرى الفلسطينية بوقت وجيز، اي خالف يونس وغزة ويافا والرملة وحيفا، الى ان بلغ عكا ذات الاسوار الحصينة ومركز احمد باشا الجزائر وقاعدة ولايته الشاسعة الاطراف وامنع المعادل في الاقطار الشرقية، فاقام رجاله الحصار عليها براً وضايقوها وكانوا يعتقدون انهم يستولون عليها بمدة ٢٤ ساعة وبعدها يسهل استيلاؤهم على سوريا، على الشرق اجمع.

اما الجزائر فذهب للدفاع عن عكا وقامت عساكره بمقاومة المحاصرين من الداخل بينما كان الاسطول الانكليزي يرشقهم بالقلل النارية بامرة قائده الاعلى الكومودور سدي سميت الذي حلما سمع بقدم الفرنسيين أسرع الى مياه عكا لمساعدة الاتراك عليهم.

## الامير بين الجزائر وبونابرت

كان خبر الحملة الفرنسية وانتصاراتها صدى ارتياح بين سكان البلدان التي كان يشملها حكم الجزائر اي بلاد صندوبلاد بشاره اذ كانوا قد ذاقوا منه الامرين، وهم القبائل العربية وابناء الطائفة الشيعية، فأتى زعمائهم الى بونابرت فرحب بهم وقدمهم الولاية على البلدان التي كانوا

يحكمونها قبلاً ، وصار رجالهم يأتون الى معسكر الفرنسيين لبيعهم الزاد وما اشبه ، الا ان بونابرت وجه اولاً باظهاره الى امير لبنان كانه اي بونابرت كان عارفاً بما كان عليه الامير من الاقتدار وبما كان بينه وبين الجزار من الضغائن والمداوة ، لذلك لدى وصول بونابرت الى عكا ارسل معتمده الكولونل سبسياني بكتاب الى الامير يخبره بقدمه ويعدده بانائه مبتغاه من توسيع حدود لبنان وردت بيروت اليه بعد ان اغتصبها الجزار وارجاع مدن أخرى قلزم لتجارته ، وختم كتابه هكذا : « اودّ انك في اسرع ما يمكن تأتي افت او ترسل معتمداً ليقابلني هنا امام عكا لكي تتخذ الاحتياطات اللازمة للقضاء على العدو المشترك » .

غير انه في الوقت نفسه كان الجزار ايضاً يرسل الامير طالباً اليه النهوض بحيشه اللبناني الذي كان خبر مقدرته ليساعده على ردّ هجوم الفرنسيين والقضاء عليهم وكان الجزار يصحب طلبه بالوعد والوعيد . فبين هذين الطرفين المتنافرين بات موقف الامير حرجاً دقيقاً ، فوقف برهة مفكراً محتاراً لانه من جهة اذا هو ساعد بونابرت ، اتباعاً لميوله الخاصة وتحقيقاً لرغائب ونزعات ابناء لبنان اجمالاً ، ماذا يكون مصيره ومصير لبنان معه في حال انتصار الدولة وانكسار بونابرت وهو اعرف الناس بشراسة الجزار ومطامع تركيا في لبنان ؟ فضلاً عن انه لم تكن تخفى عليه مناعة حصن عكا . غير انه من جهة اخرى اذا هو حالف الجزار على بونابرت خلافاً لنزعات قومه وتقاليدهم وتاريخهم

أسلم لبنان وأميره من غضب بونابرت فيما إذا تغلب هذا على تركيا  
 واكتسح البلاد السورية كما اكتسح الاقطار المصرية ؛ لذلك لم يرد  
 ان يقامر بمركزه ولا باستقلال لبنان ولا ان يعرض بلاده للحروب  
 وسفك الدماء فرأى من باب الحكمة ان يبقى على الحياد . ففي جوابه الى  
 الجزار استغل ما كان هذا اقدم عليه من اقضاء الامير عن الحكم وتولية  
 ابنه الامير يوسف مكانه كما تقدم ، فكتب اليه يعتذر عن تلبية طلبه  
 لعدم انقياد اهل البلاد له بعد ان بلغهم خبر تنحيه عن الحكم وتولية  
 اولاد الامير يوسف ، فكادت نفس الجزار تلتشق غضباً لهذا الجواب .  
 واما رسالة بونابرت الى الامير فتجاوز هذا عن الجواب عليها .  
 فكتب اليه بونابرت يعاتبه على عدم المجابة فوقع الكتاب في يد  
 متسلم صيداء فارسله هذا الى الجزاره فصفا خاطره على الامير وكرر  
 الطلب اليه بارسال المساعدة لتخليص عكا فجابه الامير معتصراً كالاول .  
 فازداد الجزار غضباً الا انه اضطر في حينه ان يكتب اليه بكتف حنقه ويؤجل  
 الانتقام لوقت آخر . وظل الامير على حياده ظاهراً يراقب مجرى الامور  
 عاطفاً على الجيش الافرنسي باذلاله ما استطاع من المساعدة . وقد ارسل  
 الى بونابرت بندقية ثمينة عربون الولاء ونابوليون كان اهدى اليه سيفاً  
 ثميناً تارخياً اتصل بعد موت الامير الى ورثته وقد قدمه احدهم الى  
 المتحف اللبناني في بيروت حيث يحتفظ عليه بكل عناية .

## موقف أبناء لبنان من حصار عكا

اما البطريرك الماروني وكان في ذلك الحين يوسف التيان فلم يكن تمت ما يدفعه الى اتخاذ خطة الامير الحبيدية بل ابي الالب يجري على خطة سلفائه محافظاً على التقاليد القديمة اقراراً بالجميل نحو الامة الفرنسية لما لها من الايادي البيضاء على شعبه منذ القديم ولا غرو فالفضل يعرفه ذوود . وهذه كانت استعدادات وعواطف شعبه وعواطف بقية الطوائف المسيحية في لبنان . وقد جرى ايضاً المتابعة بحرى أبناء ملتهم في بلاد بشاره . كل ذلك للتخلص من ظلم الجزار والانعتاق من حكم بني عثمان واثالة لبنان الاستقلال التام . فارسل من ثم البطريرك التيان وفداً الى بونابرت يعرب له عن عاطفة الولاء نحو فرنسا واولعز الى الشيخ يوسف حمزة حبيش بان يجمع المتطوعين لمساعدة الجيش الاغربي ، فاجتمع تحت قيادة الشيخ عدد لا يستهان به من الموارنة وذهبوا الى عكا لمساعدة محاصريها فاهدى بونابرت الى الشيخ الحبيشي سيفاً فاخراً لا يزال محفوظاً عند آل حبيش .

ومما يذكر عن أبناء لبنان في هذا الصدد انهم نشطوا لحل ما يلزم من الاغراض للمعسكر الفرنسي في عكا من زاد وخر وبضائع وما اشبه ، ومنها ما كان يباع للجنود ومنها ما كان يرسل اليهم بمثابة مقدمة . ومن هذا القبيل ما ورد في تاريخ الاعيان صفحة ٤٤٩ عن الهدية التي ارسلها الامراء الممعيون اصحاب مقاطعة المتن قال : « ثم ان المشايخ



بيت عماد ( وهم من الطائفة الدرزية التي لم تكن موالية للفرنسيين ) ربطوا طريق البقاع على المكارية الواردة بالحجر من بكنيا الى اوردي ( معسكر ) الفرنسية وضبطوا جملة بغال ، فعظم ذلك على الامراء بيت بللمع وارسلوا الى بيت عماد طالبين اطلاقهم فقبلوا بل ارسلوا لهم الجواب سلباً ، فارسل الامراء بيت بللمع رجالهم وكبسوا ( هاجوا ) قرية كامد اللوز ( المختصة بالعادية ) ونهبوها . . وهذا حادث ثاب يشبهه رواد الكولونل شرشل اليك تعريبه : ( مجلد ٣ : ٨٨ ) وكان المشايخ آل تلحوق يضبطون معابر نهر الدامور قرب صيدا فقبضوا على رجل ماروني يسوق بغلا حمله ذخيرة الى الفرنسيين في عكا ، فاوثقوه وسلموه الى متسلم بيروت الذي ارسله في المركب الى الكومودور سديني سميت ، ولا يبعد ان يكون الامير بشير يوافق سراً على ارسال تلك الذخائر ... وسترى في الفصل التالي ما كان للحادث الثاني من النتائج الخطيرة .

### رفع الحصار عن عكا

ضايق الفرنسيون عكا في شدة الحصار مضايقة حصل للجزار منها اضطراب عظيم ادى به الى اليأس من النجاة ، فعقد النية على الفرار عن طريق البحر ، لكن الضباط الانكليز احلافه القاعمين برد المحاصرين شجعوه وثبتوه في الصبر على الحصار ، وكاد يتم النصر لبونا بارت لو لم يقم

بوجهه عدو لا يقاوم ولا يرد بعد حصار عكا بشهرين ونصف . وهو  
أن وباء الطاعون وقع وانتشر في معسكر الفرنسيين انتشاراً هائلاً ،  
واشتدت وطلأته الى أن كان يموت في اليوم الواحد من خمسين الى ستين  
جندياً ، وزاد موقف المحاصرين حرجاً مواصلة اسقاط القنابل النارية  
عليهم من مراقب الدول الثلاث وتوارد عسكر الدولة عليهم وانقطاع  
الدخيرة والمدد من فرنسا ، عند ذلك امر بونابرت عسكره برفع الحصار  
عن عكا والرحيل الى مصر وهكذا كان .

### الكومودور سميت والامير

#### صدفة موفقة

لما عاد الفرنسيون ادراجهم عن عكا تنفس الجزائر الصعداء وصار  
يتحين الفرص ليصب جام غضبه على الامير بشير تشقياً وانتقاماً عما  
حواه ذلك الجواب من المغامر . ولم تخف مقاصده على الامير ورأى  
ان يحتاط للامر بان كتب الى القبطان سميت جواباً لطيفاً لانه من  
حسن مطالعه ، بعد انتهاء حصار عكا ، ورد اليه كتاب من القبطان المذكور  
يحملة ذلك الرجل الماروني ناقل الدخيرة الى المعسكر الفرنسي .  
واليك تكملة ما دونه بهذا الشأن الكولونيل شرشل في الصفحة المذكورة  
من كتابه قال : « استدعى الكومودور سميت ناقل الرسالة الذي كان  
اودع في السجن واخذ يلقي عليه السؤالات الكثيرة عن اقوال الناس

وشعورهم العام في جبل لبنان بشأن الأمير بشير وأخلاقه وطرأته  
وشعبيته . وكانت نتيجة الأجوبة المعطاة في ذلك الفحص المدقق أن  
دعيت القبطان الأنكليزي إلى فتح العلاقات مع الأمير ، فكتب إليه  
رسالة سامها إلى الرجل ليوصلها إلى الأمير في بيت الدين . ومما جاء في  
هذه الرسالة أن الكومودور طلب من الأمير أن يرسل إليه معتمداً  
من قبله لكي يوقفه القبطان على أمور خطيرة تجول في خاطره . فأسرع  
الأمير بإرسال الجواب وفيه يبادل الأمير الكومودور عهود الولاء  
والصداقة وكان هذا يمن إليها . ولم يلبث أن ألقى الأمير كتابه بمعتمده  
الشيخ حسون ورد ابن شيخ عقل الدروز وهو مشهور بنباهته فأكرمه  
سميت غاية الأكرام وأفهمه أن في عزمه إزالة ما كان بين الأمير والجزار  
من الخلاف والضغائن وأرسل معه هدية نفيسة للأمير .

ثم أن القبطان الأنكليزي توصلاً إلى توطيد عهود الولاء بينه  
وبين الأمير بشير بعث ابن أخته ، وهو أحد ضباط الأسطول البريطاني ،  
ليقضي مدة لدى الأمير بشير انتجاعاً للعافية لأنه كان أصيب بحمى  
بلغة في محاربته ضد الأفرنسيين ، وقد أبدى الأمير بشير في سبيل  
خدمته وراحته أجلي وأسنى مظاهر الكرم والغيرة والعناية فصمم  
النية على خدمته إلى النهاية مما ضاعف اعتبار خاله للأمير .

### زيارة الكومودور سميث للأمير

لم يطل الزمان حتى تسنى لهذين الزعيمين أن يتقابلا وتتم

المفاجئة بينها ذلك ان الكومودور بينما كان يروح النفس بعد مشقات دفاعه عن عكا قدم الى بيروت ورغب في زيارة الامير بشير تلبية لدعوة كان هذا سبق ووجهها اليه في هاتيك الغضون. وكان في نية الكومودور ان يتخذها وسيلة لارواء غليل نفسه من التعرف على الامير الذي كانت شهرته وسطوته جعلتا له مقاماً عالياً منظوراً اليه بعين الاكبار والاعجاب ، الى انه حزرراً من اثاره الهواجس ، واشعال نيران حسد الاتراك من جراء مظاهرات لا بد ان ترافق زيارة رسمية الى قصر بيت الدين ، سأل الكومودور الامير ان يعين مكاناً آخر للزيارة غير بعيد عن شاطئ البحر ، فوق اختيار الامير على قرية عين عنوب ، وهي على نصف المسافة بين بيروت وبيت الدين ، وفيها قصر نفخ للامراء بيت ارسالان الدروز يصلح لاقامة الحفلات ومظاهر الافراح بما يحويه من القاعات الفسيحة وانايب المياه المتعاضدة ( النوافير ) .

وفي اليوم الاول من حزيران سنة ١٢٩١ سار الزعيمان ترافق كل منهما حاشيته بظهرها الخاص المتفق مع ذوق واصطلاح كل من الفريقين . فبينما كان الامير نازلاً من قصره تواكب بطانة كثيرة العدد من الامراء والمشايخ مرتدين الملابس الزاهية ، وحواليهم رجالهم واتباعهم لابسوا حلل الاعياد الحافلة تنم في ايديهم السيوف واليطافات ويملأون الجو من هتافات الابتهاج والاعاني الحربية والاهازيج ومن طلق العيارات النارية المتواصلة ، كان الكومودور في ذلك الحين يواصل سيره صامتاً صاعداً ادراج الدروب الجبلية



مرتدياً بزته المألوفة يرافقه ضابطان ام ثلاثة تتبعهم فرقة من رجال البحرية وقفل طويل من البغال الحاملة مائة فقة من الارز بمثابة هدية جزيلة النفع للامير الذي بدوره كان اعد لضيقة فرسين من اكرم الخيل اصلاً .

وكان جمعية الكومودور مائتان من جنوده وقد التقاه الامير باطلاق البارود واحتفل به احتفالاً عظيماً وقدم له هدايا نفيسة ، وقد ختم الكولونيل شرشل روايته لتلك الزيارة بالملاحظة التالية : « ليس هذا مجال للاسهاب في وصف ما بدا من اشكال التكريم ولا الى اي حد بلغت ضروب الخفاوة في ذلك الحدث الذي قد يكون الاول من نوعه منذ عهد الصليبيين حين كان رؤساء الافرنج والعرب يعملون في تبادل كلام الجمالة ساعة على نحو آثار تركها عداء سنوات ، وحسب القول ان تلك الزيارة في عين غنوب تركت آثاراً طيبة من الارتياح والرضى في نفس كل من الفريقين ، وقد ابدى الكومودور سميث نحو الامير في ذلك الحين عطفاً واعتباراً عظيمين ظهرا باجل آيات الاخلاص والتعلق ولم يفتر الامير عن مقابلة كرم اخلاق صديقه البريطاني بالشكر والاعجاب » . ( شرشل ٣ : ١٩٢ ) ولم يلبث ان تحقق الامير صدق واخلاص الكومودور .

### رسالة الكومودور سميث الى الامير

من سميث سر عسكر السلطان لوكا سلطان بلاد الانكليز ونائب

حضرة السلاطنة سليم الى الاخ الحبيب الكلي الشرف والاحترام  
الامير بشير الشهابي زاد محمده .

اما بعد اني لما وصلت الى مدينة بيروت فماتت عن احوالك  
يا اخي وصديقي المأثور فبلغني ما توقع لك من احمد باشا الجزائر ، وانه  
قد نصب مكانك اولاد الامير يوسف وطرده من الولاية التي انتمت  
بها عليك الدولة العثمانية . فخالا بادرت بالتوجه الى غزه لمواجهة سعادة  
اخينا الصدر الاعظم قائم مقام الدولة العلية لنظام العالم . فان شاء الله عن  
قريب يصلك مني اعلام الذي يسرك سروراً زايداً . ولا تظن يا اخي  
الحبيب ان انقطاعي عنك في الاعلام الا لزود الحروب والانعاب التي  
حصلت لي في ابوقير واسكندرية من الفرنسيين المحتلين مصر وذلك  
لعدم اسعاف جزار باشا لي . لانه قد عاهدني بانه يمشي نحوي بالاسعاف  
في المراكب والدخائر والجباخانات وقد فكس بعهده ووعده . والآن  
قد صار عدو الدولة العثمانية لان اليهود التي ما بيننا ان عدو الدولة  
يكون عدو الدولتين وصديقها كذلك . وافت يا اخي كن براحة بال  
ان شاء الله عن قريب تحصل على كل ما توغبه . وقد تركت لك مركباً  
من مراكي في بيروت لاجل ما يلزمك من الجباخانات وغيرها . واني  
اعلم ان بعض الوشاة الموجودين في دولتك يوصلوا صورة كتابي هذا  
الى الجزائر باشا . واسكن فليعلم ان بحال وصولها اليه يحل به الندم  
وقد حررت لك هذه من ظهر الدامور في اليوم الخامس من كانون  
الاول ١٢٩٩ ودايماً اخبرني عنك والسلام .

## سفر الامير الى مصر لأول مرة

وعند الكومودور سميت ان يستميل الجزائر الى صديقه الجديد  
الامير بشير الا انه لم ينجح ، وقد حضر حينئذ من الاستانة الصدر  
الاعظم يوسف باشا ضيا ومر في البقاع على رأس الجيش العثماني الذي  
كان زاحفاً الى مصر لمحاربة الفرنسيين . فقال الامير بشير رضاه وانعم  
عليه الصدر الاعظم بخلع الولاية على لبنان وبعليك والبقاع وبلاد  
المتاولة ووادي التيم مصرحاً ان ليس لولاية عكا او دمشق او طرابلس  
ادنى تسلط على الامير وخوله حق ارسال الاموال الاميرية رأساً الى  
الاستانة دون ان يكون له علاقة مع الولاة المذكورين على مثل ما  
كانت حالة لبنان المستقل على عهد الامراء المعنيين . فكادت تفتق نفس  
الجزائر حتماً الا انه امكن ان يركن الى السكينة مدة واخفى غيظه وحقدده .  
ولكن ما لبث ان سافر الصدر الاعظم الى مصر واذا بالجزائر يهب الى  
اثارة الحواطير على الامير بشير موعزاً الى الامراء مزاحمية واخصامه ان  
يهاجموه ، وامدحهم بالخيرة والمدد والعساكر خاربوه واخرجوا موقفه  
حتى اضطر الى الذهاب الى الكورة ثم الهرمل فاصداً التوجه الى  
حوران والبقاء هنالك الى ان تمر الزوبعة . ولما علم بذلك الكومودور  
سميت ارسل اليه رسولا يعلمه بانه جهز له مركباً في طرابلس وهو يطلب  
اليه الحضور وانسفر الى مصر لمقابلة الصدر الاعظم في العريش . فلم  
يتأخر الامير بل ركب البحر في اواخر سنة ١٧٩٩ مع مدبره سلوم

الدحاح وعشرين قرأ من حاشيته فاستقبله الصدر الأعظم بكل ترحاب  
واجتمع معه ومسح الأميرال سميت أربعة أيام ، وعرض عليه الصدر  
الأعظم أن يصحبه بعشرة آلاف جندي لقتال الجزائر ، فامتنع الأمير  
عن القبول حذراً من أهوال الحرب الأهلية في لبنان ، فوعده الصدر  
الأعظم أنه بعد طرد القرلسيين من مصر يعود وينقذ الأمير ولبنان  
من مظالم الجزائر .

على أثر ذلك انتقل الأمير إلى قبرص مع الأسطول الانكليزي  
وهناك فوجيء بحجر اخفاق الصدر الأعظم بمهمته فعاد إلى لبنان  
واستلم الحكم سنة ١٨٠٠ ، ولم ينقطع أحمد الجزائر عما الفه من اشغال  
نار الفتنة عندما كان يتيسر له ذلك ، ولم يزل إلى أن مات سنة ١٨٠٤  
فارتاحت البلاد وعز شأن الأمير كما تقدم القول :

ومما انشد عندما بلغ القوم موت الجزائر الايات التالية من  
قصيدة منسوبة إلى المعلم الياس اده :

وافى السرور وصح ترجيع الامل

بهلاك غاشم لا يعادله مثل

أحمد ولكن ليس يحمد في الوري

مغضوب في ثوب المساوى قد دخل

بجياته كان الغلام الوبا

والقحط والجور الذي لا يحتمل

لله ذرك يا متوف وقد بدت



منك الحياة وطاب ضحكك واعتدل

خاذا الانام وارخود بمقصد

هملك الشقي والى جهنم قد رخل

## الفصل الرابع

الدور الثاني : ١٧٠٧ - ١٨٣٢

دور السكينة والعمران والسودد

لقد تسمى للامير بشير بعد جهود جبارة ان ينصرف في هذا الدور الثاني الى جمع كلمة ابناء لبنان على اختلاف مذاهبهم واحزابهم عاملا على تعمير البلاد وتعزيزها بما اثر غراء سنائي على ذكر بعضها . ولبنان في تلك الحقبة راتع في حالة الظمأ نينة والهناء ولو تحلها بعض فتق لم يلبث الامير ان اطفأ نارها وعادت المياه الى صافي مجاريها ، فتجلت من ثم مواهبه السامية الفريدة باهى مجاريها فصفا له الزمان ومالت نفسه الى السكينة .

فاستتب الامن في هذا العهد الثاني وتأمنت الطرقات فسهلت المواصلات . وقد بذل المساعي المتواصلة لتنشيط الزراعة والصناعة الوطنية والتجارة والعلوم فتحسنتم الموارد وذاق ابن لبنان حلاوة العيش في لبنان . والامر النادر بل الفريد هو انه لم يسمع قط انه وقعت

في أيامه جريمة او حدث تعد ما وبني الجرم مخفياً والمجرم غير منزل  
به العقاب العادل ولو ان الجاني توفق فوراً وتوارى زمناً طويلاً في  
جبال حوران او وراء البحار .  
واخبار هذا الدور الثاني ترى بعضها مدوناً في الجزء الثاني من  
هذا الكتاب .

## الفصل الخامس

الدور الثالث من عهد حكم الامير ١٨٣٢ - ١٨٤٠

الحكومة المصرية في سوريا ولبنان

الامير بشير ومحمد علي

قلنا ان نفس الامير مالت الى السكينة بعد هاتيك العواصف  
الا انه كائن الزمان كتب لهذا الرجل العظيم ان لا يطول عهد هنائه  
بل ان يعود الى ما كان عليه من مقاساة الالهوان وامتناء الخيل في  
ساحة القتال ، لانه في خلال السنة ١٨٣٢ قدم ابراهيم باشا ابن محمد علي  
باشا حاكم مصر على رأس حملة كبيرة منظمة واحتل فلسطين وسوريا  
ولبنان وحكمهما ثماني سنوات.. هنا نرى القاريء ياخذ العجب لكلمة  
« احتل لبنان وحكمه » لانه يعرف حق المعرفة ان لبنان منذ القدم لم

يحتله غاز ولا حكمه ملك غريب قط ، ولو انه احتل ما جاوره من  
البلدان السورية وغيرها وحكمها ادهاراً ، الا ان عجب القارىء يزول  
متى عرف ان الاحتلال المصري للبنان لم يتم الا بموجب رضى الامير  
واتفاق سابق عقده مع محمد علي حاكم مصر اثناء سفر الامير الثاني الى  
مصر سنة ١٨٢٢ .

### رحلة الامير الثانية الى مصر

كان ذلك دفعاً للادى عن نفسه وعن لبنان ، كما كان سبب  
رحلته الاولى . فانه قد سبق القول عن دأب ولالة الاتراك في دس  
الدسائس واثارة الفتن ضد حكام لبنان ليخرجوا موقفهم ويفقدوا لبنان  
استقلاله الذي كان قذى في عيني دولتهم ، وزادوا في ذلك اضعافاً ضد  
الامير بشير حسداً وحنقاً لما رأوا من علو مكانته ونجاحه المظرد ، ولما  
يخشونه من تحقيقه حلاً قديماً كاد يصبح على يد نحر الدين الكبير ، اعني  
به استقلال لبنان المطلق عن الدولة ، اذ لم يكن يخفى عليهم ما كانت عليه  
تلك الدولة من الانحطاط وما كان فيها من الاضطراب في ذلك العهد  
ولا سيما بعد الاقرار الذي صرح به واعلنه الصدر الاعظم يوسف باشا  
ضيا من امتداد سلطة الامير الى جبل لبنان وجواره كما تقدم ومن  
استقلاله التام عن الولاة الاتراك في عكا وحيداً ودمشق الخ .. واعطائه  
فرماناً في ذلك اقامهم واقعدهم غضباً .

## عامية انطلياس والحقد

ومما نكبوه به تدبيرهم لثورتين هائلتين ضده عرفت باسم عامية انطلياس ١٨٢٠ وعامية الحقد بعدها بقليل ادتا الى رحيله الى حوران ثم الى مصر وكانت المكيدة واحدة في الثورتين . فان عبدالله باشا الذي خلف سليمان باشا صديق الامير بشير في ولاية عكا كان قتي غراً كثير الطموح دأبه جمع المال فاخذ يلقي الفساد بين البنايين ويطلب من الامير بشير مالا اميرياً باهظاً زائداً على ما كان المعتاد . فامتنع الامير عن جمعه وفقاً بايحاء البلاد فارسل الباشا عسكرياً جراراً لجمع الاموال بالقوة وعزل الامير جوراً واستبداله بمزاحيه من الامراء الشهابيين . فندفماً لاضرار افطع امر الامير بجمع المال فهاج الشعب ، وكان عبدالله باشا يخبر زعماء الشعب سرّاً بان لا يدفعوا الا المال المعتاد وكان علناً يلح على الامير بجمعه مع الزيادة . فعرف الامير بهذه الحيلة فابتدأت الثورة على الامير في المتن وامتدت الى كسروان واجتمع في انطلياس نحو ٦٠٠٠ رجل اقاموا عليهم رئيساً الشيخ فضل البدوي الخازن واهرجوا موقف الامير . وزاد موقفه حرجاً الاضطراب الذي اثاره قتل الامير حسن الملقب بالاسلامبولي عمه وابيه ، وارتداداه من النصرانية الى الاسلام ، كما سذكه عن قريب بالتفصيل .

فاعتزل الامير الحكم والبس عبدالله باشا الوالي الخلعاً اثنين من مزاحي الامير بشير واصحبهما اسبعمائة مقاتل . فقتل الناس عن الامير



ما عدا الامراء المميين الذين اقسفوا انهم لا يقبلون واليا غيره .



الامير حيدر علي اول حاكم للمميين  
في عهد القائميتين

فتوجه الامير بشير الى  
حوران ومكث مدة الى  
ان هاج الاهلون على  
الحاكمين الجديدين وغاد  
الامير بشير الى الحكم  
ولم يعد بينه وبين عبدالله  
باشا والي عكا عداوة او  
بغضاء .

الا انه لم يطل الزمن  
حتى عاد اصحاب الدسائس  
من مزاجي الامير الى  
اثارة الفتن ضده بمساعدة  
والي عكا ، على شكل ما  
كان سبباً لعامية انطلياس  
كما تقدم ، وتوصلوا الى

اثارة عامية اخرى تشبهها في الحقد من اعمال جبيل . الا ان الامير  
هذه المرة تغلب عليها وقبها واوقع العقاب في بعض الثوار . وغفا  
عن استحقوا العقوب ، واستلم الحكم معزراً .

## مقتل الأمير حسن لعمه ولو الله

ورد خبر هذه الحادثة الشنعاء في كتاب « اخبار الاعيان »  
صفحة ٤٩٠ وخلاصتها ان الأمير حسن شهاب الملقب بالاسلاميوني  
( او السطيموني ) طلب التزوج من ابنة عمه الكبرى ثم الصغرى ولم  
يلب طلبه، فشكا امره الى الأمير بشير ولم ير هذا ان يتدخل في القضية  
تاركاً الحرية للابنتين ولو اللهما، وهذا ما جاء في الكتاب المذكور :  
« فلما انقطع رجاؤه اضمر ( اي الأمير حسن ) قتل عمه واظهر ما  
نواه الى بعض اصحابه من بني الغريب الدروز فرغبوه بذلك ووعدوه  
بانهم يأخذون خاطر الشيخ بشير جنابلاط وانهم يكونون خادمين له اينما  
كان وكان يسير برأيهم كثيراً . فاشاروا عليه انه قبل اتمام ما ينبغي  
يجب ان يصير مسلماً فارتضى فاحضروا له مسلماً ختنه فصار ممقوتاً عند  
الأمير واقاربه ... اما الأمير حسن فاقنعه بني الغريب اصحابه انه متى  
قتل عمه يقيه الشيخ بشير من الضرر ويسبب اسلامه يتولى البلاد . ثم  
قصد القرية التي كان فيها عمه الذي تلقاه بالترحاب ففاجأه الأمير حسن  
باطلاق الرصاص عليه ثم هجم عليه هو ورجاله واماتوه ضرباً بالسيوف،  
فلما شاهد ذلك الأمير محمود اخوه والد حسن استل خنجرأ ليضرب  
به ، فاطلق رجال الأمير حسن الرصاص عليه واماتوه واماتوا عبده لانه  
حامى عنه . ثم فر الأمير حسن فوراً الى دمشق فارسل الأمير رجالا  
في طلبه ومثله فعل سليمان باشا والى عكا الذي اخبر بما كان .

«اما الامير حسن فقتل على رجل يسمى محمد غا الموده لي وقص عليه الخبر وانه لم يقتل معه واباه الا لانهما مرتدين الى النصرانية . فعرض امره على جماعة من العلماء فافتوا له بالعفو . وكان يسير برأي علماء الاسلام يوضح لهم ارتداد اقاربه الامراء وان الامير بشير والي جبل لبنان نصراني مثلهم وعرض امره الى وزير دمشق فسأل العلماء ما الحكم بذلك فاجابوه لا يجوز قصاص هذا الامير لانه مسلم قتل مرتدين » .

ثم انه بعد مدة بناء على الحاح عبدالله باشا والي عكا ارسل اليها ومنها ارسله الوالي الى اسطمبول وادخل هناك وهو ورفاقه في الترسخانة حيث مكثوا سنة وعشرة اشهر اطلق بعدها سراحه وعاد الى لبنان حائزاً على رضا الدولة فاعطاه الامير بشير الامان » .

( انظر اخبار الاعيان صفحة ٥١٣ )

### تعجيل السفر الى مصر

قمع الامير عامية انطلياس ورجع منصوراً الى الحكم الى انه وافق رجوعه الى الجبل عصيان عبدالله باشا والي عكا على السلطان وتزويره فرماناً يوليه على الشام ، فالتحقع الامير بشير وعاونوه على محاربة والي الشام وتغلب عليه بفضل الجنود اللبنانيين الذين كمرزوا الجيوش الشامية في المزة ، لكن تزوير عبدالله باشا انكشف سريراً وارسلت

الدولة جيشاً للفتك به وبالامير الذي كان نصيره . فخلع الامير بشير نفسه وسلم الحكم الى الامير عباس اسعد شهاب ورأى من الحكمة ان يتعد عن لبنان حين هدوء الزوبعة، فيسافر الى القطر المصري في عدد وافر من اعوانه وحاشيته ، ذلك لانه لم ير بطلنته حليفاً اقرب اليه وافيد من محمد علي باشا حاكم مصر يساعده على دفع التعدي عن لبنان من قبل قوة الاتراك الخاشعة . ولم يلتجئ الى دول اوربا لان فرنسا الصديقة والمحامية التقليدية كانت شواغها الداخلية لا تمكنها من المساعدة ومثلها بقية دول اوربا . فسافر الامير الى مصر سنة ١٨٢٢ ومعه ولداه الاميران خليل وامين ونحو مائة رجل من اعوانه .

بعد ان خلع نفسه من الحكم وسلمه الى الامير عباس ، ولدى بلوغه مصر احسن محمد علي استقباله وقال له : « انه لم يدخل على مصر اعز منك » ( تاريخ الاعيان ص ٥٣٦ ) وكان لها محادثات طويلة تم فيها الاتفاق على ما كان يتمناه كل منهما وبقي الامر سرياً الى حينه . ولما رضيت الدولة على الامير بشير بواسطة محمد علي عاد مظفراً الى لبنان واستلم الحكم ولم يعد يعتزله الا سنة ١٨٤٠ كما سيحيى بيانه .

### لماذا رضي الامير

بقدم الدولة المصرية الى لبنان وسوريا ؟

ان حاكم مصر هذا لعلمه ما كانت عليه تركيا من الضعف



والاختلال في ذلك العهد اقدم على تنفيذ خطة كان رسمها منذ سنتين وهي الاستيلاء على فلسطين وسوريا ووضع يده على خيراتها ، ولا سيما ما كانت مصر في حاجة اليه ، واستخدام رجالها في جيشه . فتذرع اذ ذاك باسباب عرضت له هي حصوله على المكافأة التي لم تقدمها له الدولة لقاء حروبه وخدمه في سبيلها كحرب الوهابيين وحرب المورا . ثم رفض والي صيدا وفاء ديونه لحاكم مصر ورفض تسليمه الملاحين المصريين اللاجئين اليه من عسف جباة الضرائب المصرية على ما جاء في تاريخ حروب ابراهيم باشا لسليمان ابي عز الدين (ص ٤٦) ومختصر تاريخ سوريا تأليف هـ . لامنس (ص ١٥٢) .

وكان عهد علي متحققاً انه لن يتم له شيء من ذلك ما لم يكن الامير بشير حليفه وعضده ويكون لبنان حصناً منيعاً لجمته ومركزاً لقواته . فحدث الامير بذلك ووعد الامير خيراً بشرط ان يتعهد محمد علي بدوره ان يكون له عوناً على تركيا للتخلص منها تماماً ويبقى لبنان حراً بل يضحي باستقلاله النوعي مطلقاً كاملاً فتعهد بهذا عهد علي وارسل حملته على سوريا تحت قيادة ولده ابراهيم باشا كما تقدم يعاونه فيها اثنان من الضباط الفرنسيين الخبراء . وقد جرت انضمام اللبنانيين ومناصرتهم له خضوع الاقطار السورية كلها بوقت وجيز وجعل الامير بشير في زحله المدينة اللبنانية الشهيرة مستودعاً للزخائر والاسلحة .

وبعد هذا النجاح السريع رأى ابراهيم باشا ان يتوغل في الولايات التركية في الاناضول وقد تم له ذلك وانتصر على القواد الاراك

الذين هرعوا لمقاومته ، وفتح ايقونية وكوتاهيه ، وبلغ الى ضواحي  
بورصة على مسافة غير بعيدة من اسطنبول عاصمة الاتراك ، واللبنايون  
يضعرونه في اكثر مواقعه وله ملء الثقة في بسالتهم وامانتهم ، ولذلك  
اقام ابراهيم باشا الامير بشير محافظاً على المدين على ان يعين متسلميها من  
اولاده واحفاده ومن يرى فيهم الاهلية ، واليه كان يعهد اخاد الثورات  
العديدة التي كانت تنشب في الاقطار الخاضعة له حديثاً كصيدا وناپلس  
والقدس الشريف وطرابلس وعكا واللاذقية وجبال العلويين اذ لم يكن  
يوجد غيره كفوءاً لهذه المهمات العسيرة وكان الجنود اللبنايون يعودون  
من هذه المواقع مكبلين بالانتصار .

غير ان اقتراب ابراهيم باشا من اسطنبول اوقع الرعب في  
العاصمة التركية وخيف مهاجمته اياها فقامت روسيا تتدخل في الامر  
وفعلت مثلها انكلترا ثم فرنسا والنمسا وبروسيا . وبعد مداوولات  
عديدة عقدت معاهدة في لندن بغير معرفة فرنسا في ١٥ تموز سنة  
١٨٤٠ اتفقت فيها روسيا وانكلترا والنمسا وبروسيا مع السلطان  
العثماني على ايقاف ابراهيم باشا واكراهه على ارجاع فتوحاته في مملكة  
تركيا اليها وسحب جنوده الى بلادهم بفرصة عشرة ايام .

وكانت فرنسا ترعى مصلحة محمد علي باشا وتميل الى ابقاء سوريا  
تحت سيادته اما انكلترا فكانت تقاوم هذه الفكرة خوفاً من ان يفتح  
لفرنسا طريق الهند . فابى محمد علي الرضوخ لقرار الدول واجاب على

انذار السلطان : « لا ارد الا لاسيف ما اخذته بالسيف » إلا ان آماله لم تتحقق لما كان من انفصال اللبنانيين عنه وثورتهم عليه فنفذت الدول قرارها تماماً بواسطة ومساعدة اللبنانيين الذين صح فيهم ما سبق وصرح به السيد بازيلي قنصل روسيا في بيروت في تقرير ارسله الى حكومته في هاتيك الاثناء قال ما تعريبه : « كما ان انضمام اللبنانيين الى جيش ابراهيم باشا في سنة ١٨٣٧ قد جر معه خضوع كل سوريا فلا يبعد ان ثورتهم اليوم ستؤدي الى طرد المصريين عن البلاد » ( المحررات السياسية مجلد ١ : ٤ ) وقال كدلافان : « ان وجود بشير في معسكر ابراهيم معناه سوريا بيد مصر » .

فلت الحكومة المصرية ثماني سنوات في لبنان وسوريا وكانت يداً واحدة مع الامير بشير حسب المعاهدة السابق ذكرها . وقد اهتم ابراهيم باشا باجراء اصلاحات عديدة في شؤون لبنان التجارية والعمرانية ، ومثلها في سوريا التي وضع لها نظاماً جديداً منطبقاً على اتجاهات التمدن والتساهل المصريين ، معلناً فيها المساواة بين الرعايا على اختلاف مذاهبهم غير ناظر في تقليد الوظائف الا الى الكفاءة الشخصية وله في هذا الصدد اخبار لطيفة مما استحق ثناء العقلاء وبالطبع اغضب عليه الجبهلاء الذين لا يقدرون الامور حتى قدرها ( انظر تاريخ لبنان وسوريا تأليف ف . توتل صفحة ١٤٩ وكتاب صديقة ومحامية تأليف ب . غالب المكرزل صفحة ١٧٦ وعنهما ننقل الحادثن التاليين ) .

## تقدم نحوي يا بك

تم هذا الحادث في إحدى مدن سوريا وهذا خبره : «اليك حادثاً  
يبين التغيير الاجتماعي الذي أجراه إبراهيم بك في البلاد السورية . كان  
حنا بك البحري المسيحي موظفاً في إدارة المالية وكان على علو مكانته  
لا ينال من زملائه المسلمين الاكرام اللائق بوظيفته فشكا أمره الى  
إبراهيم باشا .

وحدث ان اجتمع يوماً كبار الموظفين من المسلمين وكان بينهم  
حنا بك فدخل عليهم إبراهيم باشا ووقف الجميع اجلالاً له فقال : «يا بك  
تقدم نحوي» ولم يذكر اسم البك .

فلم يخطر لبال احد من الحاضرين ان الباشا يقصد البحري دون  
غيره . فتقدم موظف آخر اسمه حافظ بك . فقال له إبراهيم باشا :  
«أني انادي بحري بك» فرجع حافظ الى مكانه وتقدم بحري بك .  
فقال له الباشا : «تفضل» واجلسه بالقرب منه . اما سائر رجال المجلس  
فظلوا واقفين الى ان قال لهم الباشا : «اقعدوا» فقعدها . فصار رجال  
الحكومة من بعد ذلك الحادث يعاملون حنا بك المعاملة اللائقة بمقامه  
ولا يخفى ما اظهره إبراهيم باشا في تصرفه هذا من حسن الذوق  
والدراية وحب المساواة ومثله في الحادث التالي .

## صاحبة الأزار الاخضر

« ذكر لنا معاصر لتلك الايام ( ايام احتلال المصريين سوريا



١٨٣٧ - ١٨٤٠ ) انه يوم كان ابراهيم باشا في الشام جمع ضوئاً امام دار الحكومة فاطل من الشرفة ليرى ما السبب ، فاذا يقوم من المسلمين يشتمون امرأة مسيحية مثتررة بازار اخضر ( وكان يوسف باشا والي دمشق اوجب منذ عهد بعيد على المسيحيين لبس الثياب المعتمة كما سترى في اول الفصل الثالث من الجزء الثالث ) وكاد الرعاع ينهالون عليها بالضرب لو لم يوقفهم ابراهيم باشا . ولما استفهمهم عن سبب شتمهم وتهجمهم قالوا انها لابسة ازاراً اخضراً فغضب وامرهم ان يتفرقوا وقال الكبيرهم : ما هذه الجهالة ؟ اليس كل انسان حرّاً ان يلبس ما يريد ؟ دعوا المرأة وشأنها وحذار ان تعينوا مثل هذه الاعمال . فانصرف الناس غير راضين عن كفر ابراهيم باشا .

وعلى هذا الشكل كان ابراهيم باشا يستعمل الحكمة والتؤدة لاجل تنفيذ النظام الجديد في سوريا وفلسطين الذي لم يحتاج الى وضعه في لبنان حيث كانت المساواة سائدة بين ابناء الاديان المختلفة والقانون لا يفضل او يميز فريقاً او شخصاً على آخر بسبب مذهبه بل كان الاعتماد على الكفاءة الشخصية لا غير كما هو الواجب .

### اسباب الثورة على الحكومة المصرية

واما الذي نمر الناس منه في لبنان فهو ارهاقهم بالضرائب وشدة في جمع الاموال الاميرية وابعادهم بالسخرية لحفر معادن الفحم في قرنايل

والحديد في مرجيا المتز، ونقلها الى بيروت، ثم حجزه الصابون وجمعه السلاح وتعميمه الخدمة العسكرية واصكراه الجنود اللبنانيين على الذهاب خارج لبنان كالاناضول ومصر والسودان، وفي هذا الصدد يقول الاستاذ يوسف السودا في كتابه النفيس « في سبيل لبنان » : « ان ابراهيم باشا لما استتب له الامر في سوريا لم يحسن معاملة اللبنانيين كما كانوا يأملون، واعله خفي عليه صحة موقفهم من انهم شعب حي ما حاربوا معه جيوش الدولة على سبيل الطاعة العياء للامير بشير بل سعيًا الى غاية وضعوها نصب اعينهم الا وهي نيل الحرية المطلقة، ولما رأوا ان آمالهم بالدولة المصرية لم تتحقق وانهم ما خرجوا من سيادة الاتراك الا ليقعوا تحت سيادة اخرى اجنبية هاجت في صدورهم حمية الابهاء والجدود فهبوا غاضبين لحررتهم ثائرين لشهادتهم الذين قتلوا عبثًا في نجاتهم ».

وهذا الاستياء العام لم يخف على عمال دولة الاتراك فعرفوا كيف يستغلونه، واخذوا يشيرون الخوامن على الحكومة المصرية وعلى الامير بشير حليفها بشتى الوعود ومثلهم فعلت دولة الانكليز بواسطة معتمدها المستر رشارد وود مستشار سفارتها في اسطنبول، فاوفدته الى لبنان وكان عارفاً باطوار اللبنانيين وقد اتقن لغتهم على يد الطيب الاثر الخوري ارسانيوس الفاخوري من غزير، فاستكتبهم عريضة يلتمسون فيها من الدولة العثمانية والانكليزية والنمسية والفرنسية انقاذهم من جور الحكومة المصرية فكتبوا له ما اراد ووعدهم بسرعة

الانجاء . وقد اتفق على هذه الدعاية ٤٥ الفليرة ( كتاب لبنان تأليف  
 ي . داغر صفحة ٢٧٠ ) فزاد احتياج الخواطر وبدأت الثورات في  
 أنحاء متعددة والايقاع في جنود الحكومة ، وقد انتخب الثوار رئيساً  
 عليهم بمثابة قائد اعلى الشيخ فرنسيس ابا نادر الخازن من غوسطا  
 كسروان ، واشتهر من قواده ابو سمرا غانم من بكاسين ويوسف  
 الشنتيري من بكفيا والثلاثة من الموارنة واهمد داغر المتوالي وانضم  
 اليهم معظم الامراء والمشايخ والاهلين ، واما الشيخ بطرس كرم وابنه  
 الفتى يوسف بك كرم فرأيا ان يقفا على الحياد لانهما لم يريدوا الاشتراك  
 مع الثورة ضد الحكومة المصرية التي كانت فرنسا تمضدها ولا سيما  
 ان النافخ في بوقها عمال الانكليز . فكانت الحرب بين الفريقين عند  
 الابتداء سجالات الا ان الحكومة تمكنت اخيراً من التغلب على الثوار  
 في المتن والقت القبض على سبعين رجلاً ونفقتهم الى سنا في السودان ،  
 وكان بينهم الامير حيدر بالمع الذي صار فيما بعد قائمقام النصاري في  
 بكفيا ويوسف الشنتيري ومدير الامير حيدر طنوس فرج صغير الذي  
 تمكن من الفرار الى قبرص ومثله فعل الشيخ فرنسيس الخازن زعيم  
 الثورة .

وبينا كادت تبرد الهمم عند الثوار لعدم وجود الاسلحة  
 والذخائر الحربية اذا باستول دول الحلفاء يظهر تجاه الشواطىء اللبنانية  
 مؤلفاً من احدى وثلاثين قطعة ٢٥ منها انكليزية و ٥٥ نمساوية وبارجة  
 واحدة تركية متفطرة كلها باصرة السر نايبير الانكليزي فضربت

البوارج المدن الساحلية في لبنان وسوريا وارسل القائد بياناً الى اللبنانيين يدعوهم الى التعاون معه على الدولة المصرية .

ثم ما لبث الاسطول ان ازل قوة عسكرية في جوفيه ميناء كسروان في المحلة المعروفة باسم الباطية وقدمت للاهلين الذين تقاطروا اليها السلاح والاموال والذخائر وعهدت الى فرنسيس الخازن توزيعها وكان الاسطول احضره معه مكرماً من قبرس .

فلاغرو ان ارتاحت انحاء لبنان لهذا الحادث واشتدت غزائم الثوار وعادوا الى عقد الاجتماعات في صنوبر بيروت وتأليف الفرق ، فاضطر ابراهيم باشا الى سحب جيوشه من السواحل للاعتصام في الجبال وهناك توالى عليه الانكسارات منها في ميرويا ووطا الجوز وبسكنتا وبحرصاف وغيرها . واشتدت على رجاله المطاردة من كل النواحي فما لبثوا ان انهزموا من لبنان وسوريا وتم جلاؤهم الى مصر وقد قاسوا على الطريق احوالاً ومشقات لا توصف ومات منهم الوف على الطريق ناهيك عن الالوف التي سقطت في ساحات القتال طيلة ثماني سنوات . واعاد الانكليز الى لبنان الاشخاص المبعدين الى سنّار السودان .

### كيف انتهى حكم الامير بشير

واليك ما جرى للامير بشير في هذه الظروف : ان المستر ريشارد وود المذكور ارسل اليه ثلثي يوم وصول العمارة كتاباً يعمده فيه



بالمحافظة على استقلاله اذا تخلى عن محمد علي ومثله كتب الكومودور  
 نابيير القائد الاعلى لاسطول الحلفاء والسر عسكر العثماني اي القائد  
 الاعلى يطلبان منه المعاونة على المصريين والتسليم للدولة والانكليز  
 ووعداه بأنه اذا فعل الاول، قبل ثمانية ايام، يظل في ولايته  
 وتظل الولاية لذريته من بعده. « فلم تسمح الامير نخوته اللبنانية  
 بالتخلي عن حليفه ساعة الشدة. لاسيما وفرنسا تؤيده وعهد فرنسا  
 مقدس في لبنان ففضل الامير ان يحفظ عهوده حتى التضحية » ( في  
 سبيل لبنان للاستاذ السودا ) ففي ذلك المأزق الحرج استقرار الامير  
 مدبره الحالي والسابق فاشار بطرس كرامه بعدم التسليم وبالثبات مع  
 المصريين لثلاثا يجربوا بيت الدين اما الشيخ منصور الدحداح فاشار  
 بالانضمام الى الانكليز والدولة قائلا : « اذا هدمت بيت الدين فالبلاد  
 تعيدها » ولما رأى ان اولاده واحفاده كانوا مشتتين في الجيش المصري  
 في كل البلاد وهذا الجيش يحتل ايضا بيت الدين لم يمل الى العمل بالرأي  
 الثاني . غير انه لما رأى رعاياه ينقلبون على المصريين وتحقق انهزام  
 هؤلاء ايقن حرجة الموقف ودقته واخذ يحسب للطوارئ لاسيما ولم  
 يرد عضد من فرنسا لسبب الانقلاب السياسي وتفسير الاحكام فيها  
 بشأن القضية اللبنانية - المصرية حتى انتهى الامر بسقوط الوزارة  
 الفرنسية التي كانت تريد ان تؤيد بالقوة محمد علي وحليفه الامير بشير  
 وقيام وزارة اخرى مكانها لا تريد ذلك بل تريد السلم على اي حال كان .  
 فبادر الامير عندئذ الى سحب اولاده واحفاده من الجيش المصري

والى ايداع بعض امواله وامتنعت الثمينة في بعض الاديار وجزم التخلي والانسحاب والاستسلام للانكليز وفي ١٠ تشرين الاول سنة ١٨٤٠ نزل الى صيدا مع زوجته حسن جهان واولاده الثلاثة وحفيده الامير اسعد ومندوبه بطرس كرامه وبعض الموالين له من اعيان البلاد ، فلاقاه والي صيدا بالاكرام والحفاوة ، وتوجه الى بيروت على باخرة انكليزية حرية للاستسلام للسلطة العليا كما تقدم ، وكانت المهمة المضروبة قد طأت فبلغه اذ ذاك القائد العثماني الاعلى القرار السلطاني بأبعاده عن لبنان وتعيين خلفه الامير بشير قاسم شهاب ، وخيره ان يختار محلا لاقامته فيما عدا سوريا وفلسطين ومصر وفرنسا فاختار جزيرة مالطة . فنقلته اليها بارجة انكليزية ومعه زوجته واولاده واحفاده الذين وافوه بعد حين الى حيث كان وعائلاتهم ومرشد عائلته الطوري اسطفان حبيش الماروني القزيري وكاتبه المعلم بطرس كرامه والشيخ موسى الدحداح وسبعون شخصاً من حاشيته وخدمه واخدمته خزينته واكثر نقائسه . ولما رسا المركب امام الجزيرة قابله الحاكم الانكليزي بترحاب واتزله قصراً يبعد ثلاثة اميال عن العاصمة .

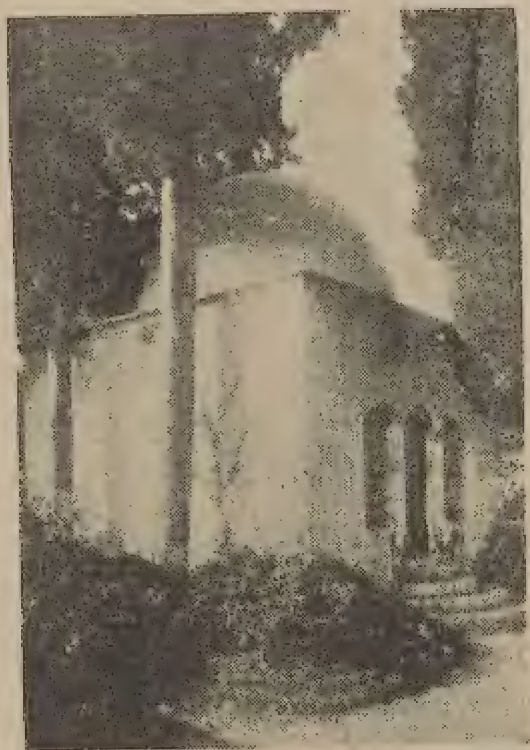
اما ابراهيم باشا فبعد انكسار جنوده في بحر صاف كما تقدم «فر وحده ماراً بقرية صليبا حيث طلب ماء تجمعه ومنها ذهب الى قرنايل ... وبعد حين التقى بفلول جيشه واذ كان سائراً بهم الى بيت الدين التقى عند عين زحلنا بجري بك وعلم منه بقيام الامير بشير فاسقط في يده وعاد بالمسكر واطلق الجنود بالنهب والقتل وسبي النساء في طريقهم

حتى بلغ معلقة زحله حيث وردت اوامر والده ان يعود بالجيش الى مصر بدون قتال فنهض به الى دمشق فغزوه فوادى النيل » . ( تاريخ الامير بشير الكبير لمعاصره الامير حيدر شهاب - مطبعة العلم - بيت شهاب لبنان ١٩٣٣ ج ٢ ص ٩٤ ) .

### سفر الامير بشير الى اسطنبول

بقي الامير بشير في مالطه احد عشر شهراً ارسل بعدها مديره بطرس كرامه الى اسطنبول ليرى فيها مجاري الاحوال فهذا « لما بلغها وعلم ما ظهر وما بطن كتب اليه ملفزاً ان الصندوق في اسطنبول والمفتاح في لندره ، وحسن له وجوب الانتقال الى اسطنبول وجعلها دار اقامته فقام الامير بشير بمن معه من مالطه وسافر قاصداً اسطنبول ، وبعد ستة ايام وصلها فامر له الصدر الاعظم بدار للسكن وانزل حريمه في دار الياس حوا الحلبي الماروني مؤقتاً » . وفي اليوم الثالث دعاه رؤوف باشا الصدر الاعظم ورفعت باشا وزير الخارجية الى الباب العالي وارسل له الصدر الاعظم خيولاً مزينة لركوبه مع اولاده ( وقد اوردنا خبر هذه الزياره في مقدمة هذا الكتاب وما كان من منع الصدر الاعظم رجال مجلسه عن الوقوف للامير ثم وقفوه له اولاً ووقفهم مثله ) . ثم امر الصدر الاعظم بدار للامير في قرية ارناووط كوي الكائنة على خليج المدينة تبعد عنها ثلاثة اميال فانتقل اليها بمن

معه جميعاً، وتقدم لزيارته بعض اكابر الدولة والعلماء والمشايخ  
والسفراء ورد زيارتهم وكان موقراً من الجميع». (الغرر الحسان صفحة  
١٠٥٠ - طبعة مصر).



قبر الاميرة شمس زوجة الامير الاولى  
في حديقة قصر بيت الدين

( من مجموعة مديرية الآثار )



# الجزء الثالث

## طرائف عن حياة الأمير

في عهد استلامه الحكم ١٧٨٨ - ١٨٤٠

## الفصل الأول

لا جريمة تختفي ولا مجرم يفلت

عدل الأمير

ليس بالأمر السهل وصف ما جرى من الاحداث التي فيها ظهرت  
عدالة الأمير ، في فصل واحد لا في فصول ، الا ان خطرت في البال  
عبارة وجيزة نظمتها تصور هذه الحقبة من الزمان تصويراً حقيقياً رائعاً  
ليس فيه شيء من المبالغة مطلقاً وهي التي صدرنا بها هذا الفصل « لا  
جريمة تختفي ولا مجرم يفلت » عبارة فريدة جريئة لم يخطر ببال احد  
من المؤرخين او الكتاب ايرادها عن احد من حكام العهد العابر او  
الحاضر لانهم لم يروها تنطبق على احد قط وهيئات !  
فكيف تم ذلك وما السر ؟

هو عدل الأمير ، عدل يزينه حب شعبه وسهره عليه ، عدل

كان ولا يزال تضرب فيه الامثال لانه نصب ميزان العدالة وارهب  
اهل الفساد فانصف المظلوم وضرب على يد المعتدي دون شفقة ، حتي  
ولو كان اميراً خطيراً او شيخاً نبيلاً او نسيباً عزيزاً ، واخبره من  
هذا القبيل اكثر من ان تحصى سنأتي على ذكر بعضها .

### حكم الامير بشير كما وصفه الكولونيل شرشل

ان هذا الكولونل من اكبر رجال السياسة الانكليزية في القرن  
المنصرم وهو عم والدالمستر شرشل الذي اشتهر اسمه في الحرب الكبرى  
الاخيرة . وقد صرف الكولونيل شرشل عشر سنين في لبنان ، اي من  
سنة ١٨٤٢ الى سنة ١٨٥٢ بوصفه رئيساً للبعثة الانكليزية في لبنان  
وسوريا ، ودون تقارير مسببة عن لبنان في كتاب طبعه عند رجوعه  
الى بلاده قال ما تعريبه .

« ان استتباب الامن الذي اوجده الامير في الجبل وشعر الناس  
بعفائه قد ذهب مذهب المثل الى ايماننا ولم يبق بعد قط حاكم اكثر  
منه غيرة على ابناء شعبه مهتماً بعصايتهم بضبط وتدقيق ، ينصف المظلوم  
منهم ويمنع النظر في دعاويهم على حسب ما يحليه الانصاف والزاهة ،  
فكان يفيق من الرقاد بصورة مطردة قبل بزوغ الفجر ساعتين ويجلس  
في ديوانه يدخن الغليون وحده الى الصباح ، فيحضر اذذاك امناؤه  
وكتبة اسراره فلا يلبث ان يقوم بقضاء المصالح وتصريف الاعمال

الحكومية . وكان اوضع المزارعين يدخل اليه بلا صعوبة ويشكو اليه  
ظلامته وكان الامير يوليها انتباهه واهتمامه الجديين دون ابطاء . ثم  
ان الذي اكتسب به ثقة الناس وزاد تعلقهم بشخصه هو ان اجراءاته  
واحكامه كانت تبلغ دائماً آخر حدود العدل لا اثر فيها للمحاباة او  
التحيز ولم يقع جرم الا ويد العدالة قابضة على الجاني ولا تبطىء .

### الحوالة

« واما اصحاب الديون المخادعون الذين كانوا يحاولون التسلص  
من وفاء ما عليهم فكان قد افرز لهم فرقة من عسكره تسمى فرقة  
الحوالة يرسل رجالها الى بيوتهم فينزلون فيها ويلتزمونها مروجين عليهم  
تقديم ما طاب لهم من المأكول والمشرب والعلف لحيولهم وما اشبهه ،  
بحيث يضطر الغريم الماطل ان يعجل بوفاء ديونه للتخلص من هاتيك  
الاثقال التي لم يكن الامير ليعفي منها ابناء اسرته الشهامية انفسهم حتى  
ولو كان المدعي عليهم واحداً من اوضع ابناء الشعب . ثم ان اصحاب  
الجرائم الكبرى من قتل وتعدو غيرها فكان الامير يستعمل لاكتشاف  
مخباهم والقاء القبض عليهم طرائق معجلة لا يزال يلح بمواصلتها الى ان  
يظهر المجرم . وليس بالوسع احصاء الحوادث التي فيها توفيق الامير  
بدهائه وترويه الى رفع الحجاب عن غوامضها الفظيعة فنقتصر على  
ايراد مثالين من هذا القبيل :

## قتيل الدامور

« حدثت جريمة قتل عندضفة نهر الدامور الذي يصب في البحر على منتصف المسافة بين بيروت وصيدا ، وقد وجدت جثة القاتل في محل غير بعيد عن الطريق العمومي على مقربة من المياه في مكان يسهل العبور فيه من جهة الى اخرى . ولم يبق دليل لمعرفة القاتل او القتلة رغم ما جرى من البحث والتحقيق في القرية المجاورة . الا ان الامير لم يتوقف عند هذا الحد اذ لم يكن في الدنيا ما تنقل عليه وطأته اكثر من جريمة يبقى مرتكبها مخفياً وغير معاقب ، فاختار من ثم اثنين من رجاله وامن لهم راتباً وافياً على شرط ان لا يغادرا المحل الذي وجدت فيه الجثة لا ليلاً ولا نهاراً البتة ، وان يتناوبا السهر بكل ساعات الليل بدون انقطاع وان يسترقا سمع كل ما يصل الى آذانهما من احاديث المارة ومن ملاحظاتهم . فمضت الايام والاسباع والشهور ولم تظهر دلالة توشد الى سر الجريمة . اخيراً وبعد انقضاء ثمانية اشهر وعند بزوغ الفجر اذا بمكاريين يستحطان بغليهما على الطريق يقرب المحل الذي عثروا فيه على الجثة ، واذ لم يشعرا بوجود الرقيبين المختبئين وراء اوراق شجيرات اخذا يتكلمان عن العمل الذي اتياه هنالك مهيناً احدهما الآخر بان حسن ظالمهما ابقى امرهما مستتراً ، فما كانت تتم هذه العبارة حتى شعرا بايدي الرقيبين تطلق عنقيهما وبالرزد يشتد على ايديهما وهما يساقان الى بيت الدين . وفي مساء ذلك النهار عينه وبعد ان اقرا بذنبيهما



شوهدا معلقين شتقاً على شجرة بالقرب من محل الجناية .

### المجرم الفار الى قبرص

والخبر الثاني الذي اوردته الكولونيل شرشل خلاصته ان احد الاشقياء ارتكب جريمة قتل وفر الى جزيرة قبرص فبعد التفطيش عليه عبثاً مدة طويلة في لبنان وجواره خطر في بال الامير ان يعهد الى احد ثقائه ان يسافر الى قبرص ويبحث عنه هناك . فسافر ولقيه في الجزيرة واحتال عليه حتى فتح واياه محلاً تجارياً فلم يلبثا ان خسرت تجارتها واشهرا افلاسها ، فاقترح رسول الامير ان ينتقلا الى الاسكندرية للارتزاق فيها ، واخذوا مركباً كان طريقه الى بيروت حيث كان مواعده التوقف نحو ساعتين ولما وصلا اليها قال رسول الامير رفيقه : « اذا حسن لديك هلم نزل وننزه في المدينة ونعود » فرضى رفيقه على يقين ان لا احد يخطر في باله التقاء القبض عليه . ولكنه ما وطأت قدماه اليابسة حتى وجد نفسه مقيداً بين رجلين شديدي السواعد من رجال الامير . وقد تم ذلك بموجب الخطة التي كان سبق ودبرها رسول الامير . وفي النهار نفسه وبعد ان اقر الرجل بجريته حكم عليه الامير بالاعدام شتقاً وقض الحكم حالاً .

### خاملة الالمانس

وبعد ايراد هذا الخبر بيدي الكولونيل شرشل هذه الملاحظة :

« فلا غرو من ثم اذا بات ارباب المفاسد على عهد حاكم هذه صفاته وقد اعتري ايديهم الشلل وانقطعوا عن اعمالهم الاثيمة انقطاعا باتاً . وكانت النتيجة انه عند اواخر حكمه الطويل والصارم سار في البلاد مثل مأثور عبر عن واقعة الحال وهو قولهم : « تسافر الفتاة وحدها بين جبال لبنان كلها حاملة على رأسها علبة الماس ولا تخشى يدا عادية اصلاً » ... تقطع هنا كلام شرشل لنضيف اليه فقرة تلامس موضوعه ونكمله فنقول :

### خيالة المير

نظم الامير فرقة من جنوده على شاكلة فرقة الحوالة كانوا يسمونها « خيالة المير » قوامها خمسمائة خيال من اشد رجاله شجاعة وبأساً واكثرهم اقداًما وبطشاً وابوعهم في ركوب الخيل دريهم خاصة على اكتشاف مخابىء المجرمين والقاء القبض على اهل الفساد بسرعة اينما كانوا . فكان لهم لدى العموم منزلة عالية من التهييب والاحترام يخشاهم القاصي والداني لان بواسطتهم اوجد الامير ما ذكرناه من الراحة والطمانينة في البلاد . وكان اهل القرى المنفردة اذا فوجئوا بهجمات بعض الاشقياء يصرخ بعض اهل القرية « وصلت خيالة المير » فيرتجف الاشقياء ويسرعون الى الانهزام ، ومناتهم كان يفعل المصوص وقطاع الطرق اذا سمعوا بقدوم خيالة المير لانهم كانوا يعرفون ما

سيكون مصيرهم اذا وقعوا بين ايدي هؤلاء الخيالة الاشداء او بين  
سنايك خيولهم اي السجن المظلم او الشنق »

### معاينة الشيخ رستم

من اخبار عدل الأمير خبر القصاص الذي اوقعه باحد افراد  
اسرة نبيلة في لبنان ذات سطوة وجاه وكرامة هي اهل لها ولا تزال  
وهي من اصحاب المقاطعات وكان الأمير بشير لا يحجل مقامها وفضلها  
على لبنان والخبر نقله عن كتاب « المقاطعة السكروانية » وفيه ما  
يلي :

« سنة ١٧٩٨ قتل الشيخ رستم بن مرعب الخازن كاهنا من  
جديدة غزير من عائلة علام وقد حدث منه القتل من غير عمد .  
فالقى الأمير حسن والي كسروان القبض عليه وارسله حالا الى اخيه  
الأمير بشير في دير القمر . فلما وصل امر الأمير بقطع يده اليمنى ولما  
راموا ان يكووها بالزيت الحار لحسم سيلان دمها أبى مفضلا الموت  
على رجوعه الى كسروان بيد واحدة فترك والدم يسيل من يده حتى  
افضى الى مماته »

اما شكل المقاب هذا فان لم يكن مألوفا في هذا العهد فقد كان  
جاريا في حكومات ذلك العهد عموما فما كان يستقر به احد

## قتلة البطريق

كان في قرية كفر عقاب المجاورة بسكنتا في اعالي قضاء المتن رجل اسمه الياس عماد المعلوف رأى ابناء بلدته ان يكونوا بابي كشك والذي يصفه فؤاد البستاني في « عهد الامير بشير » بالسطور التالية :  
رزق الله ابا كشك اربعة اولاد ذكور فكانوا (لجيرة خاطر ايهم)  
اشد نهبا منه واكثر جشعاً وادق حياء في القاء الفتى وسل اموال  
القوم فخلصوا مبالغ لا يستهان بها واصبحوا من اشهر اغنياء المديرية .  
وكان احد ابنائه يتودد الى فتاة في القرية طالبا الاقتران بها واذا  
كان يعطل نفسه بالآمال بلغه خبر زواجها باحد ابناء عمها فقضب هو  
واخوته ولا سيما ابوه الذي رأى في هذا التفضيل اهانة شخصية ،  
فاضمرؤا الشر لزواج الفتاة الى ان تمكن طالبها الخامس مع احد اخوته  
من الغدر بزواجها وصرعاه قتيلا في احدى ليالي سنة ١٨١٢ ولذا  
بالفرار الى محل وهما انه حرز حريز ، واذا بخيالة الامير في اليوم الثالث  
تقبض عليهم بعتة وتسوقهم مكبلين الى سجن بيت الدين ، فارتاع  
الوالد ايما ارتياح وتأكد ماذا سيكون العاقبة واسرع هو وولده  
الآخران الى دير سيدة النياح في بقاعتوتا على مقربة من بلدته وكان  
زائراً فيه السيد اغناطيوس صروف بطريرك الروم الكاثوليك ،  
وعائلة ابو كشك تنتسب اليها ، وتوسلوا اليه ان يرسل الى الامير كتاب  
توصية بالشاين . فونجهم البطريق على تلك الفعلة الشنعاء واهب التدخل



لعمامة بعدد الأمير واذ لم يزالوا يواصلون الإلحاح حتى كاد البطريق  
يراهم امامه حينئذ توجه ، ارسل الى الأمير كتاباً يرجوه فيه تخفيف  
عقاب الجانبيين ، فاتفق ان وصل كتاب البطريق الى الأمير بعد ان  
كان هذا اصدر امره بشتقها ولا سبيل لتوقيف تنفيذه ، فعلقا في  
في ساحة بيت الدين .

فلسوء ظن ابي كشك وولديه ، نسب مصير القاتلين الى كتاب  
البطريق الذين وهما انه كان لا كتاب توصية بل كتاب تحريض  
لقتلها عبرة لسواهما واضعروا الشر للبطريق وعزموا على اتيان امر  
منكر لم يموت بمثله في الشرق من قبل اي انهم اردوا البطريق قتيلا في  
٢ تشرين الثاني سنة ١٨١٢ . وقد اورد خبر هذا الحادث صاحب  
الغرر الحسان في تاريخ حوادث سنة ١٨١٢ على الوجه التالي ( ٣ ) ،  
٥٨٥ ) وهو معاصر لتلك الحادثة قال :

« وفي هذه السنة كان البطريق اغناطيوس بطريرك طسائفة  
الكواتي (١) متوجهاً من دير مار سمعان الى دير النياح بقرب بسكنتا  
فاغتاله الياس عماد واولاده من بيت المعلوف . وقد كانوا راغبين له في  
الطريق ففوسوه ضربين وضربوه في النجاقي الى ان مات وهربوا حالا  
من البلاد الى مدينة طرابلس واذ كانت البغضة متجسدة بين طائفة الروم  
وطائفة الكواتي اخفوا الياس عماد واولاده وجهازوا لهم مركباً

---

(١) يعني الكاثوليك

وتوجهوا الى جزيرة قبرص . وحين بلغ الامير بشير هذا الخبر عظم عليه جداً وارمى التفتيش على المذكورين فراّهم هربوا . وقد شاعت الاخبار ان هذا التدبير من بعض اناس من طائفة الروم من اهالي قرية بسكنتا وسبب ذلك ان طائفة الروم كانوا يعضون البطريك المذكور كون انه كان فارغاً جهده ان يصير اكثر الروم ان يرتدوا الى طائفته .

وحين بلغ سليمان باشا والي صيدا تلك الاخبار تحرك بالغضب على طائفة الروم حيث خدم بابه اكثرهم من طائفة الكاثوليك وحضر منه اوامر الى الامير بشير انه يجري القصاص والتأديب على كل من له اشتراك بذلك الامر وقبض الامير بشير على البعض من طائفة الروم القاطنين في قرية بسكنتا . واجري عليهم العذاب الاليم وعندما لم يبن عندهم تأكيد الامر امر في اطلاقهم بعد اقامتهم في الحبس مدة طويلة وابتدأ يترصد وقوع الياس عماد واولاده .

بعد ان تأكد الامير ان الجانين ليسا في لبنان ولا في الاقطار السورية استدعى رجلاً درزياً داهية من اعوانه وارسله للبحث عنهم في قبرص فوصل اليها بلباسه اللبناني ولم يزل يسأل عنهم حتى التقى بهم . وعلى سؤالهم اياه « من تكون ؟ » اجاب انارجل لبناني من طائفة الدرود شاء سؤال علي أن اطلقت الرصاص على احد ابناء الامير فاخطأته والامير مجد بالتفتيش علي وقد توفقت في الهرب الى هذه الجزيرة . ولما استأنسوا به اباحوا له بسرهم وصاروا يصرفون الاوقات معا الى ان

الدرزي غاب عنهم مدة ثم عاد وعلى وجهه امارات الرعدة وقال : بلغني ان الامير عرف بمقرنا ولا بد انه عن قريب يصل من يقبض علينا بالاشتراك مع حكومة هذه الجزيرة . قالوا وشم مذعورون من هذه المفاجأة : واين المفرأ قال : لست ارى آمن لنا من جبال ووديان حوران حيث لي اهل ومعارف . فوافقوه على ذلك . وفي تموز سنة ١٨١٣ كان وصولهم الى شاطيء لبنان الشمالي ونزلوا بالقرب من برج سلعتا السكان بين ديوانورية والبترون فقال لهم الدرزي : ألا وفق ان تبقوا في هذه الناحية الى ان اذهب عند اقاربي اطمئنهم واعود اليكم ويكون الملتقى في مدينة بعلبك . ثم اسرع واخبر الامير الذي ارسل الاوامر حالا مع التعليمات اللازمة للقبض عليهم ولم يلبث الجناة ان شعروا بايدي خيالة المير تشدا اكتافهم في بلدة حدث الجبة ، فسيقوا الى بيت الدين حيث أعدوا شتقاً فسر الامير من اهالي الحدث الذين ساعدوا الخيالة على النجاح في مهمتهم . وكان قد جعل جائزة الف غرش لمن يقبض على واحد من هؤلاء القتلة وخمسائة لمن يحضر له رأسه . وكان الذي عرفهم ، ودل الناس عليهم ، رجل من بسكنتا اسمه صعب الدين كان في ذلك الحين موجوداً في تلك النواحي ( الغرر الحسان ٣ : ٥٩٢ ) واطلقت العامة على محل اغتيال البطريرك اسم ( قبر البطريرك ) وهو يعرف الى الان بهذا الاسم في الموضع المذكور انفاً وكم من مرة اتفق لكاتب هذه السطور ان يمر بذلك الموضع لقرب بلدته كفرديان منه فوقف هناك واستوقف ، وتذكر وتذكر .

## من قتل زوجها ؟

مر الأمير يوماً في قرية كفر نبرخ الشوف وهو ذاهب الى نبع  
الصفاء في كوكبة من الخيالة واذا بامرأة تلتقيه في ساحة القرية محمولة  
الشعر حمراء العينين تلمم وجهها وتصرخ فامسكت بعنان فرس الأمير  
واخذت تصيح : دخیلك يا صاحب السعادة قتلوا زوجي . دخیلك  
مظلومة . وكان اهل القرية تجمعوا وتألّبوا حول الأمير فنظر اليها  
الأمير بحدة وتقدم صامتاً الى السنديانة الكبيرة التي في وسط الساحة  
وقال بلهجة شديدة : «يا سنديانة كفر نبرخ ، اشهدي . اذا وقت رجوعي  
بعد يومين ما وجدت الغريم على كعبك لاجعل الغربان فيك على عدد  
اوراقك » ثم امال فرسه وكلل المسير .

حار الاهلون في سر هذه الجرعة واخذ مشايخهم يبالغون في  
الفحص ويعجلون ، لعلمهم ان الأمير هو الرجل الذي ان قال فعل .  
وبينا كانوا في المساء التالي بحالة الارتباك الشديد واليأس اذا بشاب  
معروف بدهائه يدخل اليهم ويقول : عرفت الغريم - ومن هو ؟  
- هو ، هو امرأة القليل لا غيرها !

فكأن نوراً جديداً لمع امام عيونهم واعاد الى اذهانهم ذكريات  
غير بعيدة فذكرهم واحد ان زوجها علياً مراراً عديدة اراد ان يطلقها  
بسبب ما عرفته عن علاقاتها ذات الشبهات مع احد الجيران محمود وقد  
منعه المشايخ واصلح رؤساء العيال بينها . وافادهم آخر ان محموداً



المذكور قد غاب ثاني يوم الجريمة عن البلدة فارتسوا يدعون المرأة الى  
جلسة عقدها وجوه كفر نبرخ وسألها واحد : اتريدين معرفة قاتل  
زوجك ؟

- نعم نعم لكي امزقه باسناني !

فقال لها : خفي من غلوائك . انت تعرفين حق المعرفة من  
هو القاتل ونحن نعرفه ايضاً فاقري بحريمتك فهذا خير لك .  
وكانت عيون الجميع متجهة اليها فاذا بالمرأة تصفر خوفاً وتقع  
مغشياً عليها فعاالجوها بماء الزهر واحتفظوا بها .

وعند المساء رجع محمود من رحلته فاحضره الى مجلس الشيوخ  
حيث قابله بالمرأة فافرا بحريمتها وانتشر الخبر بسرعة البرق .  
في عصر اليوم الثالث وصل موكب الامير الى القرية وكانت  
الجمهير مزدحمة في ساحتها توسع المجرمين امر الشتاء . واطلع الامير  
على ما جرى فقدم يبطء على جواده ووقف تحت السديانة وسأل  
المجرمين : اصحيح انكما قتلتما الرجل ؟ فصمتا واما لاهنهما نحو الارض .  
عند ذلك امر ثلاثة من رجاله ان يعلقوا في الحال مشنقة محمود في  
السديانة ففعلوا . اما المرأة فامر بلفها في كيس وطرحها من الجبل الى  
وادي نبع الصفا . وكان لم يمض على القتل خمسة ايام ( على عهد الامير ) .

## ظهور الأمير رد هجوم الاروام عن بيروت

جاء في الفرر الحسان (٣: ٧٧٩) وفي تاريخ الايمان (: ٥٦٠) انه في سنة ١٨٢٦ قام الاروام اي اليونان في المورة وهي مقاطعة في بلادهم وثاروا على الدولة العثمانية طلباً لاستقلالهم فحضر ليلاً الى بيروت اثنا عشر مركباً وخرج منها عسكرهم الى البر ونصبوا سلام على اسوار المدينة وصاروا يضربونها بالمدافع . فدخلها البعض فقط من رجالهم لان هيجان البحر والزواجع حالت دون اقتراب المراكب الى الميناء فجمع اهل المدينة على هؤلاء الانفار وكثروا عليهم وردوهم الى خارج الاسوار حيث استؤنف القتال . فقتل من الاروام خمسة عشر رجلاً ومن اهالي بيروت تسعة وسقطت الجرحى من الفريقين ورجع الاروام الى برج بو هدير تجاه المراكب . ولا بد من القات نظر القاريء هنا ان بيروت كانت في تلك السنة تابعة لولاية عكا الحقت بها ظمناً قبل حكم الأمير بشير ببعض السنوات وكانت من قبل تخص لبنان . ونحن في ما يلي نورد للقاريء فقرة صاحب الفرر الحسان بحرفها ليعين نظره فيها ويبدي رايه الصائب قال : « ثم في الحال ارسل المتسلم والمفتي واكابر المدينة استنجدوا بالامير بشير الشهابي وارسلوا اعلاموا عبدالله باشا والي عكا وبالحال عاجلاً ارسل الامير بشير ولده الامير خليل ومن اتجد عنده من الخدم وارسل اعلام الى اهالي البلاد محمواً ان يوافوه الى ساحل بيروت . وفي ثاني يوم سار بعسكره الى الشويفات وعند

الصباح نهض الى حرش بيروت . وحضر عنده التسلم واعيان المدينة  
وقابلوه وشكروا عنته وصار الاعتماد انه يضرب بسكره الى ذلك الذي  
في برج بو هدير وعند الصباح اتاه الخبر ان اولئك الاروام الذين في  
البرج حين بلغهم وصول الامير بعساكره رجعوا ليلا الى المراكب . ثم  
حضر كاخية عبدالله باشا وصحبه ابو زيد آغا ونحو ثلاثمائة عسكري .  
فامر الامير عساكره بالرجوع كلهم لمحله ورجع بمن معه لمكانه بكل عز  
وانتصار وعدت له من جملة الفتوحات المتقدمة ذكرها لانه لولاه كانت  
تلك المراكب دخلت بيروت وتسلطوها .

### دفعه التعدي عن المظلومين

واستتلى صاحب الغرر الحسان بقوله ( ص ٢٨٠ ) :  
« ثم هاجت اسلام بيروت على النصارى وامر كاخية عبدالله باشا  
في القبض على النصارى وجرمهم وسلب اموالهم وارزاقهم فالذي وجدوه  
بالبلد قبضوا عليه وجرموه باكثر مما معه . فباعوا اموالهم وامتعهم  
باقل ثمن وذاقوا شدة عظمة والذين هربوا الى الجبل ضبطوا ارزاقهم  
ودكا كينهم وما كان في بيوتهم ورقموه جميعه في دقائر » ولما علم الامير  
بشير بأمر هذا التعدي تداخل بالقضية مع عبدالله باشا فقبل هذا  
وساطته وارسل امراً يرفع الضبط عن كل ما للنصارى وان يرجعوا الى  
اوطانهم ويتصرفوا بأموالهم وهذه صورة الامر :

## هذه صورة الامر

صدر مرسومنا هذه المطاع الى كامل رعايانا الذين النازحين  
من مدينة بيروت طائفة الكاثوليك وطائفة الموارنة وطائفة الروم  
عموماً يحيطون علماً انه قبل تاريخه بوقت الحركة التي توقعت من  
الكفرة الاروام الخاسرين وجسارتهم على مدينة بيروت طرق مسامعنا بان  
الحركة التي حصلت كانت بدساستكم ومطابقتكم للكفرة الخوارج ولاجل  
ذلك نزحتم من بيروت وفررتم للخارج . فافتضى لاجل قصاصكم عن  
هذه الخيانة التي بدت منكم صدر امرنا بضبط كامل ارزاقكم وامتعكم  
الموجودة بمحلاتكم . فالآن تحقق لدينا ان نزوحكم من بيروت وتوجهكم  
للخارج فهو كان من الخوف الذي دخل عليكم واعتراكم فقط . وحين  
تأكد وتحقيق لدينا ذلك ، وبحيث انكم رعايا ، ومرحمة لحالككم عفونا  
ومتحمنا عن هفواتكم وقد صفي خاطرنا عليكم ومصدرين مرسومنا  
لكم فبوصوله واطلاكم على مضمونه تعاموا ان خاطرنا صفي عليكم  
وعفونا عن هفواتكم . وبالحال تقوموا تحضروا الى بيروت تتعاطوا  
اشغالكم واسباب معاشكم حسب عوائدكم . وقد صدر امرنا لجناب  
ولدنا افتخار الاماجد وعمدة الاعيان الموقرين كتخذانا حالا ولدنا  
الحاج ابراهيم آغا المكرم ان بوصولكم يسلمكم كامل حوائجكم  
وموجوداتكم والامتنعة الموجودة داخل بيوتكم ومخازنكم ودكاكينكم  
واودكم التي وقع عليها الضبط من طرفنا . المراد بالحال تحضروا الى



بيروت كما امرناكم ولا تخشوا من شيء ولا يكون عندكم وسوسة ولا  
 مخيلة بحوله تعالى بوجه من الوجوه ، ولكم منا على ذلك قول الله ورأي  
 الله وسيدنا محمد رسول الله ﷺ ثم رأينا . وان شاء الله تعالى ما  
 تشاهدوا من طرفنا الا الحماية والصيانة من سائر الوجوه . اعلّموا ذلك  
 واعتمدوه غاية الاعتماد . في ١٣ رمضان سنة ١٢٤١ ( ١٨٢٦ ) .

### إعادة بعض مساويات النصارى

وحين وصلت تلك الاوامر الى النصارى امتثلوا الامر وعزموا  
 على الرجوع فلم يسلمهم كاخية عبدالله باشا ارضاقهم ودورهم . فاعرضوا  
 الى عبدالله باشا وحضر امر الى الكاخية . وهذه صورته ( الفرر الحسان  
 القسم الثالث صفحة ٧٨٢ ) :

افتخار الاماجد الكرام وعمدة الاعيان الموقرين كتخدانا  
 حالا ولندا الحج ابراهيم آغا زيد مجده .

غيب التحية والتسليم بمراسيم الاعزاز والتكريم والسؤال عن  
 خاطركم بكل خير وعافية . المنهى لتعجبكم مقدماً بحسب ما حصل من  
 المجاسرة من الكفرة الاروام الخوارج على ما كانتنا مدينة بيروت  
 وبهذه الحركة نزحت رعايانا الهميين من البلدة ولم يزل حاصل عدم  
 تطمين على الرعايا داخلا وخارجا . فنخبركم ان ما كانتنا مدينة بيروت  
 مأمول منها ايرادات كلية ، ان كان من اقلام ميريقة ومن مصلحة التجار

ومن تصريف اشياء تخص ديارتنا مثل اغلال والصابون وخلافه . وما  
عدا ذلك فلم حادثة الحرير وكماركه وايراد كماركه الامانات والخراج  
والجزية وغيرهم وكل قرش تأخر من هذه الاغلال فتأخيره عايد على  
مصلحة خزينتنا . وهذا التأخير سنوي لا وقتي وهذا المحل تدوير  
دواليه من اهم الامور والزما كونه من خاص خواص محلات اياتنا  
ولا يقتضى تركه بهذه الحال بعد هذه الحركة التي توقعت وصارت  
اسباب الى تقلقل الرعايا وتشغلهم ، ونظرنا ان بقيت اليد موضوعة  
على محلاتهم لا يطمئنوا ولا يتركونا . ومرحمة لاحوالهم ورغبة  
بالمرحمة تحسن لدينا رفع الضبط عن الاملاك . فلازم سرد هذه العبارة  
لنجاتكم لكي بحوله تعالى يوصل مرسومنا هذا اليكم ووقوفكم على  
مضمونه تعملوا وتحققوا ان خاطرنا صافي على رعايانا بوجه العموم من  
اسلام وديمين . وبالحال تعملوا ديوان حافل وتتلوا مرسومنا هذا اعلاناً  
على رؤوس الاشهاد لكي يتحققوا الجميع اشهار امانتنا . وفيما بعد  
تطلقوا نداء في شوارع البلدة وازقاقها وتطلقوا النداء ايضاً بالسائين  
والابرار والمحلات الموجودة خارج البلدة وتعلنوا امرنا على الجميع من  
رفيع ووضيع وترفعوا الضبط عن محلات رعايا الديمين باجمعهم داخلا  
وخارجاً . فالذين موجودين تساموهم محلاتهم بالحال والذين باقين  
بالخارج تحرروا من طرفكم لولدنا الامير بشير الشهابي المسكرم  
بخصوصهم وتساموهم بصدر امرنا هذا وتؤكدوا عليه تأكيد تام بان  
يرسل كامل رعايانا الموجودين بمحلات الجبل يستلموا كامل املاكهم

ويتعاطوا امور تجارتهم كيجاري عوايدهم . وبحمده تعالى كل منهم ما يشاهد الا الحاية والرحمة ولهم على ذلك امان الله . وبعد تسليمهم بموجب امرنا هذا قدموا الاعراض لطرفنا . اعلموا هذا واعتمدوه غاية الاعتماد في ٣ شوال ( ١٢٤١ - ١٨٢٥ ) .

فامتثل الكاخية الامروسلم الارزاق الى اصحابها . وانما كان قد سلب من بيوت النصارى وحوالياتهم جميع الاشياء المشنة تنوف عن الالف كيس . ثم رجع الى عكا وامر عبدالله باشا برفع جميع الاسلام الذين متسلمين الابراج والقلعة والحصون وارسل اربا ووط مكانهم وقطع ما كان مرتب لهم من علوفات وغيره فاعظم ذلك على اسلام بيروت وتغيرت محبة عبدالله باشا من قلوبهم الى البغضة . وكذلك عبدالله باشا ابغض اهالي بيروت بما ابذوه الاسلام من النهب من امتعة النصارى . ثم بلصهم الباشا بخمسةائة كيس نظير ما سلبوه .

## الفصل الثاني

سعي الامير في رفاهية شعبه

ان القاريء اللبيب بعد مطالعته بامعان اخبار الامير بشير في تاريخه الكبيرين الشهيرين ( تاريخ الاعيان والفرح الحسان ) لا يتمالك من الحكم بان هدفاً واحداً كان موضوعاً نصب عينيه طيلة سني حكمه،

وانه الى بلوغ هذا الهدف كان يرمي في كل ما يأتيه من الاعمال  
والمساعي والمشاريع على اتساعها وكثرتها وتعداد انواعها ، وهو هدف  
يا حبذا لو كان يسمى وراءه كل من ولي الاحكام ، الا وهو (راحة شعبه  
ورفاهيته ) ولو ان هذا خفي على الكثيرين من معاصريه وسواهم الا  
انه لم يخف على اهل النظر . فان ما سبق ذكره عن تأمينه الطرقات  
والتشديد على اهل المفاسد واجراء العدالة ومنع القلائل والسعي وراء  
الاستقلال والتمسك من عمال تركيا ومن سلطة دولتهم حتى الدخول  
في الحروب عند الاقتضاء الى غير ذلك من الاعمال باهرة كانت ام عادية  
لم يكن منه الا انيل ذاك الهدف الشريف وقد تمكن من بلوغ نصيب  
وافر منه واذا هو لم يظفر به كله فليس لذنب منه او تقصير بل لظروف  
قاهرة غالبية حسب ما قال الشاعر :

ما حيلة الراي اذا احتدم الوغى واراد رمي السهم فاقطع الوتر  
وفي السطور التالية طرائف عن بعض ما لم يسبق ذكره من  
مآتيه في هذا السيل مآت كانت ولا تزال لدى كل الشعوب بحسب  
اركان الرفاهية والسعادة .

### اول مطعموم جذري في الشرق

لقد بدت على عهد حكم الامير الرشيد وبفضله مظاهر التحافات  
جديدة في ميدان التمدن والتقدم الحديثين واولها عنايته بمسحة شعبه



ووقايتها من الاوبئة ، من ذلك ادخاله التلقيح ضد مرض الجدري ( اي  
 مطعوم الجدري ) لأول مرة في لبنان بل في الشرق الادنى قاطبة .  
 احضر مادة التطعيم الى الامير سنة ١٨١٠ السيد لورلا قنصل  
 دولة النمسا فاستعمله لبعض حاشية الامير وكان يومئذ في قرية برجه  
 اناس مصابون بهذا المرض فارسل المطعمين الى هناك ، وكانوا ممن  
 يعتقدون بالتقضاء والقدر ، فدخلوا بين اولئك المجدورين وخالفوه  
 بحجوة وعادوا سالمين فوثق الامير بذلك واستعمله لنفسه ولاهل  
 بيته فشاع ذلك في البلاد واستعمله الكثيرون . ولما حدث هذا المرض  
 في تلك السنة سلم الذين كانوا تطعموا فعم استعماله واكبر الناس فضل  
 الامير في هذا الفتح الجديد لان هذا الداء كان يظهر كل سنة في البلاد  
 بشكل فظيع فيحصد الاطفال بصورة هائلة ويترك آثاره على وجود  
 الناجين . وقد بان عطف الامير على شعبه من هذه الناحية سنة ١٨١٤  
 عند وقوع وباء الطاعون في قرية جباع الشوف فاقام الامير حراسا على  
 القرية منعوا الدخول اليها والخروج منها فسلمت تلك النواحي . وفي  
 السنة نفسها ظهر هذا الوباء في دير القصر وكان الامير يومئذ بصطفا في  
 وادي التيم ، وجهه للصيد امر مشهور ، فاسرع بالعودة وامر باخراج  
 المصابين ومن لامسهم الى محل يدعى وادي دير القصر واخلى لهم هنالك  
 نحو ثلاثين منزلا ووضع الحجر عليهم وكلما امسب احد غيرهم يفعل  
 به هكذا . وجعل للنصابين نفقات من ماله وكانوا ثلاثمائة فمات منهم  
 سبعون وسلم الباقون ، ودام الوباء نحو ثلاثة اشهر ثم انقطع ولم يحل في

مكان آخر من البلاد .

لينشرح منك الصدر وتقف معجبا لما ترى الحاكم الاعلى في البلاد  
يتولى بنفسه الاهتمام الجدي بمصالح ابناء شعبه في ملأتهم ايام لم تكن  
تعرف في بلادنا المستشفيات ولا الوسائل العصرية للوقاية ولم يكن  
يرضى باحالة شؤونهم الى المأمورين والموظفين الذين يخشى ان يقصروا  
في اداء الخدمة الوافية بل اهتم هو بهم بنفسه .

### مكافحة الجراد

ويلا من هذا الموضوع خبر مكافحته الجراد وفيه نكتة : في ايار  
سنة ١٨١٢م الجراد من نواحي نابلس بلاد سوريا واكل منها الاخضر  
واليابس وزحف الى لبنان وغرز في كل السواحل البحرية وكان جديداً  
عظيماً بحيث ذكروا عنه انه اذا اقتشر حجب الشمس . فقال الناس  
امرهم ففرض الامير على كل لبناني ان يجمع من بذور الجراد نصف مد  
فاخذت الناس تحرق الارض وتستخرج البذر فيحرقونه فجمعوا منه  
نحو خمسين غرارة ( ٥٠ شوالا ) غير ان الباقي منه فقس قبل جمعه  
وامتد في البلاد فامر الامير ان تبادر الناس اليه ويحفروا له الحفر  
ويساق اليها ويحرق . وكان يرسل الامراء بني عمه واكابر الاعيان  
لمراقبة العمل فاهلكوا منه اكثره . اما الباقي فتغلب على مكافحته  
وذهب الى اراض صلبة لا يمكن الحفر فيها . فتوقفوا محتارين واذا

بالامير يحضر ذهنه اختراع ظريف لم يكن منبته اليه احد وهو انه  
امرهم ان يجمعوا اغصاناً يابسة وشوكاً وبلاناً وخلافها مما يسهل حرقه  
وان يكسوها باغصان مورقة خضراء ويطردها الجراد اليها . ففعلوا  
ولما كانت تمتلئ منه كانوا يحرقونها وما زالوا موافلين حتى ابادوه  
تماماً ولم يتضرر منه احد .

### اول محجر صحي واول اطباء قانونيين

ومن قبيل اهتمامه بصحة شعبه كانت انشاؤه لاول محجر صحي  
( كرتينه ) في لبنان وسوريا على عهد الحكومة المصرية وقد انشيء في  
بيروت فاكرهت جميع السفن الاجنبية ان تأتي اليه اولا لاجل المراقبة  
الصحية فنجم عن هذا العمل فائدة عظيمة واصبحت بيروت مرفأ لافطار  
الشرق الادنى فازدادت فيها الحركة التجارية خاصة وفتت سريعا وما  
لبثت ان دخلت في طور حياتها الحديثة الى ان اصحت مع الايام مدينة  
كبيرة بعد ان كانت قرية بسيطة .

ولما رأى البلاد بحاجة الى اطباء بارعين اتفق مع الحكومة  
المصرية وارسل شبانا لبنانيين اذكياء ليدرسوا الطب في مدرسة قصر  
العيبي في القاهرة فعادوا بعد حين الى لبنان وكانوا اول اطباء قانونيين  
في البلاد الشامية فادوا للبلاد فوائد تذكر بمعالجة الامراض بالطرق  
العلمية الفنية وبتنويرهم الالذهان وتأليفهم . وبقيت هذه العادة مرغية

الى مدة من الزمن غير وجيزة ولم تنقطع الا في ايام توفيق باشا خامس  
 خلفاء محمد علي . واول من ارسلهم الامير وتخرجوا في قصر العيني الدكارة  
 غالب الخوري البعلبكي و ابراهيم النجار ويوسف الجليخ ويوسف  
 مرهج ومملوكه سليم خورشيد . ومن الذين تخرجوا فيها بعدهم  
 الدكاوة ميلاد جرجس صغير من عجلتون والشيخ منصور الخازن من  
 كفرديان وفارس افندي نجم من كفرية وشاكر الخوري البكاسيني .

### نصير النهضة العلمية

لم يفت الامير ان العلم عامل فعال لترقية الامة وتحسين حالها  
 ورفاهيتها واسعادها اللهم العلم الصحيح الذي يرافقه تهذيب الاخلاق  
 فقرب من نفسه اليه رجال العلم والادب والشعر و اكرمهم على منزلتهم ،  
 وعهد اني بعضهم ادارة الدewan والقيام بما هنالك من النشاء رسائل  
 وكتابة وتاليف وتدوين حسابات ، والى البعض الآخر تنقيف اولاده  
 وحذا بذلك حذو ملوك خلد التاريخ ذكرهم كهارون الرشيد وابنه  
 المأمون وشرمان . فلجتمع من ثم في داره اقطابهم . وكل من مرة شوهد  
 الامير وحوله العلماء والشعراء وتلاميذهم يشجعهم ويكافئهم ومنهم  
 الشيخ ناصيف اليازجي والكونت رشيد الدحداح وغيره من ابناء  
 اسرته آل دحداح التي معظم رجالها من ارباب القلم حسب قول قديم  
 مأثور في لبنان : « السيف لبنت حبيش والقلم لبنت الدحداح والكرم



ليت الخازن « ومن بطانة الأمير وندمائه الشعراء الثلاثة بطرس كرامه  
وقولا الترك وامين المندي وسمعان الحكيم من غوسطا الذي كان  
يلقب بالشدياق ( اي المعلم ) وكان يدرس اولاد الامير اللغات الاجنبية  
وهو يصغرهم سنًا . وكان له ابن عم كاهنًا في قصر الامير . ولبسمعان  
هذا نادرة ظريفة جرت له مع الامير بشير لا بد من تدوينها للتاريخ :

### ابن الامير يصفعه بقلعه

كان سماعيل هذا من النادرين الذين يحسنون في ذلك العصر  
اللغات الاجنبية مثل اللاتينية والايطالية وكان الامير يبحث عن من  
يعرف ذلك ليعلم انجاله على يده ليستطيعوا مواجعة سفراء الدول بدون  
ترجمان فحدثا الامير سماعيل المذكور لاجل هذه الغاية .

اما انجال الامير فلانهم كانوا يكبرون سماعيل بالسن صعب عليهم  
الاذعان له ، فتمرد احدهم عليه مما اضطر سماعيل بعد الصبر الطويل الى  
صفعه صفعة واحدة لتأديبه فاستنكر نجل الامير عمل معاصيه معه وذهب  
فهاج اهل القصر عليه ، واستصدر امرًا من ابيه ليجنّه فاقام سماعيل في  
السجن محجوبًا عن الجميع ثلاثة ايام . في اثناء ذلك جاء اليه سرًا زملاؤه  
في القصر يسألون له الفرار خوفًا عليه من انتقام الامير منه فرفض  
ذلك ، ثم دعاه الامير ليحاكمه جهرًا اما مجلسه ، فسأله بلهجة مرهبة عن  
واقع الحال ، فاجاب سماعيل بصراحة وجرأة عن الحقيقة كما هي وبما ان

الامير كان يعطف عليه لاستقامته وصدقه ونزاهته اراد ان يساعده في الاستجواب فسأله ثانية عما اذا كان بعد تفكيره في اثناء لبعثته في عاقبة الامر بحرق مرة اخرى على اعادة العمل ؟ فاجاب سمعان فوراً : « نعم اني اصنع نفس العمل لاني لا ارضى ان اكون خائفاً لك بالمهمة التي ائتمنتني عليها وهي ان اعلم بذك ليخافوك عن جدارة »

فاجاب الامير بهذا الجواب وحول غضبه الشديد الى خفاف وعطف فقال ضاحكاً : « حقاً انك قزم عنيد » وامر له حالا بكيس ٥٠٠ مكافأة له على اخلاصه في الخدمة ومن ذلك الحين لقب سمعان بالقزم واصبح هذا اللقب اسم امرته الى الآن . وفي سمعان في القصر ثماني عشرة سنة فأعما بمهمة تدريس انجال الامير ومدونا الحانات الخصوصية لحرم الامير .

وقد تزوج سمعان المذكور مريم ابنة الهاني التي كانت جليسة حسن جهان زوجة الامير الثانية في قصر بيت الدين وولده منها ثلاثة بنين اشتهر منهم داود القزم بفن التصوير اليدوي ( الجبل الملهم الطبعة العربية ) .

### امهات المدارس في لبنان

ان ما اشتهر عن محبة الامير للعلم والعلماء تقديعه اصحاب المعارف

وتنظيمه القوم على اقتباسها فضلاً عما أوجده من استتباب الأمن ذلك  
كان داعياً لفتح المدارس بعدد وافر في أيام حكمه ، مدارس تسمى بحق  
( أمهات ) المعاهد العلمية الحالية في لبنان لأن فيها تخرج العلماء  
والاعلام من رجال الدين الذين ألفوا الكتب ونشروا المجلات والجرائد  
وانشأوا المدارس والمؤسسات الخيرية والاجتماعية مما يمتاز بها لبنان  
الآن وقد ساعد الاقطار الشرقية عموماً على النهوض من كوة العصور  
الحالية .

وفي مقدمة هذه المعاهد العلمية نذكر المدارس الاربع الوطنية  
التي كانت من قبل ادياراً للراهبات العابدات من الطائفة المارونية .  
ونظراً الى اتجاه ابناء العصر الى العلم والاحتياج اليه رأت السلطة  
الروحية ان تحولها الى معاهد علمية مجانية لعموم ابناء الطائفة المارونية  
بعد الاتفاق مع اولياء تلك المؤسسات ابناء الاسر اللبنانية : اسقفان  
وصغير ومبارك واصاف وقد ادت هذه المدارس خدماً جلي للوطن .  
واولها نشأة مدرسة عين ورقا في غبطا وهي التي انبعثت منها انوار  
المعارف في لبنان وفي عموم الاقطار العربية بواسطة الذين تخرجوا فيها  
يكفي ذكر اربعة منهم طالما استفاد الناس من ما تركهم وهم المطران  
يوسف الدبس والمعلم بطرس البستاني والكسوف رشيد الدحداح  
وفارس الشدياق . ليس يعود الفضل في تأسيس هذه المدرسة الى الامير  
بشير بل الى الشيخ غندور السعد مدير الامير يوسف شهاب وقنصل  
دولة فرنسا فتأسست سنة ١٧٨٩ في السنة الثانية لحكم الامير الاله

قد مرت عليها بعد مدة أيام عصيبة بسبب اختلاف وقع بين أبناء  
الأسرة ذات الولاية أدتها من التلاشي ، ولولا الأمير بشير وعضده  
لرئيس المعهد لكانت توقفت عن أداء رسالتها الثقافية. وقد تأسست على  
شاكلتها المدارس الثلاث الأخرى أي الرومية في القليعات سنة ١٨١٨  
ومدرسة مار عبدا في جديدة غزير ومدرسة ريفون سنة ١٨٣١ وكانت  
تأسست قبلها وعلى طريقتهما مدرسة مار يوحنا مارون سنة ١٨١٢ في  
كفرحي لأبناء جليل والميترون .

ومن مفاخر عهد الأمير من هذا القليل ومن نتيجة راحة صدره  
واتجاهه الحر نحو أوربا وعاداتها الحديثة كان دخول قطب العلم الغربيين  
إلى لبنان منهم الارسالية الأميركية سنة ١٨١٨ والارسالية اليسوعية  
الثانية سنة ١٨٣١ ، وكان قدوم الارسالية الاولى على عهد نجر الدين  
الكبير ، وتم لهم اذ ذاك فتحهم المدارس الابتدائية والعالية وتأسيسهم  
المعاهد الخيرية على ما هو مشهور . وهم اشتهر من تاريخ علم التلامذة  
الذين تخرجوا في معاهدهم وكانوا لا زالوا في طليعة ارباب النهضة  
العلمية والاجتماعية والسياسية حينما حلوا .

### تنظيم القضاء

من اهم مساعيه في سبيل راحة الرعية تنظيمه على عهد الحكومة  
المصرية مجالس المشورة لضبط اموال الحكومة وللبت في دعاوى



الحقوقية بين افراد الرعية « وفي هذه المجالس كان يجلس النصراني  
 لأول مرة في التاريخ جنباً الى جنب مع المسلم لاجل القضاء على الاحكام  
 واما قبل ظهور هذه المجالس فان القضاء كان محصوراً في المسلمين فقط  
 فاصبحت هذه المجالس البنانية والحالة هذه اولى المحاكم النظامية  
 التي عمت البلاد فيما بعد ( تاريخ لبنان الموحز للبستاني صفحة ١٥٠ )  
 هذا ينطبق على البلدان التي كان يقطنها المسيحيون مع المسلمين اما في  
 الجهات التي يسكنها الموارنة فكان القضاء منذ القديم بيد قضاة موارنة.

### تسهيل المواصلات

لم تحت الامير اهمية الطرقات فما استقرت له الامارة حتى  
 استدعى المهندسين وعهد اليهم بتخطيط الطرق وفتحها بين كل قري  
 لبنان لا لسكريات ، وقد كانت نادرة في ذلك العهد في بلادنا ، ولكن  
 الدواب وعليها يسير المسافرون فشقت عندئذ هذه الطرق المعقدة ذات  
 الاحراج المتينة البنيان فكانت الاولى من نوعها . وشهد ما كان سرور  
 الناس لما استعاضوا بها عن تلك المسالك والمعابر القديعة الضيقة الغير  
 الوافية بالمراد . وقد صبرت على مرور الزمان ولا يزال بعضها باقياً في  
 اماكن عديدة في لبنان بعد زهاء قرن ونصف قرن . فتسهلت  
 المواصلات وقربت المسافات وقد وصل الامير عاصمة لبنان بيت الدين  
 بسائر اطراف الجبل بطرقات كان يعني باصلاحها وترميمها . ومن الجسور  
 التي بناها جسر الدامور وجسر نهر الكلب الذي كان بناءه القائد



الروماني الطوفانوس زهاء نصف  
قرن قبل المسيح ثم هدم فشيده  
الامير حسن الشهابي ثم هدم  
قنائه الامير بشير في سنة ١٨١٠  
ولا يزال غاماً الى الآن يهزأ  
بالسيول الجارفة وبالعواصف  
وقد نقشت عليها بيت نظمها  
شاعر الامير نقولا الترك نورد  
منها هذين البيتين :

جسر نور الكلب الذي حدد الامير شلمه  
( من جموعة مديرية الآبار )

بنته الملوك القدم والماء هذه      على نهر كلب حل ارضاده الاسد  
بشير مجيد قاهر قام حكمه      شهابي بنى جسراً متيناً الى الابد  
وقد سبق لنا ذكر بناءه قصر بيت الدين وجعله مقاماً لاثقاً بحاكم  
البلاد ونحتم بكلمة تبين كيفية جلبه اليه المياه :

كانت قرية بيت الدين التي نقل اليها مركزه من دير القمر قليلة  
المياه وكان الامير يشعر بوجوب جلب ماء غزيرة للحاجة القصوى  
اليها فقد كان في داره على ما جاء في الغرر الحسان، من الاعوان المقيمين  
ببابه نحو ثلاثة الاف شخص عدا الخيل والبغال ونظائرهما فلم يكن  
الماء يكفي هؤلاء الشاربين فضلاً عن غيرهم من زائر وطارق وذوي حاجة  
فارسل الامير رجلاً خبيراً من دمشق اسمه خليل عطيه يبحث له عن

ماء يمكن جلبه فوجد هذا ماء على مسافة ثمان ساعات تحت عين رحلتنا  
يجري من نبع القاع بجانب نهر الصفاء وهو ماء غزير بارد عذب صحي  
الا ان المكان كان عسر للغاية فأمر الأمير بحجره ، وتم العمل باثنين وعشرين  
شهرآ وتدفقت المياه في ساحات القصر . واعترافاً بالجهد كانت اهالي  
الملاذ تتناوب العمل فيه بحيث كان كل ابنائى يشتغل يومين في السنة  
بدون اجرة وقد انفق الأمير عليه زهاء مائتي الف غرش وقد عند ذلك  
العمل فتحاً عظيماً لم يقدم على مثله احد من سلفائه فانتعشت به بينت  
الدين وجوارها . واقام الأمير حفلات عديدة لثلاث المناسبات نظم فيها  
الشعراء القصائد والموشحات مثبتة في الغرر الحسن وكان من اروعا  
موضح المعلم بطرس كرامه مطلعته :

صاح قد وافى الصفاروي الفلا      شراب سكوري ألعس  
وافاض الشهد في روض الحمى      لجلا الغم وبراء الانفس

ويحذر بنا اراد رواية لطيفة تتعلق بهذا المشروع الجبار ،  
وهي انه بينما كان الأمير عاقداً جلسة لدرس هذا المشروع مع مستشاريه  
ومقربيه وعدد من لهم خبرة في الهندسة والبناء ، وقد كادت تنتهي  
الجلسة الطويلة دون ان تسفر عن نتيجة بسبب النفقات الباهظة اللازمة  
لتلك المشروع وكان الأمير والشعب عاجزين عن القيام بهاء واذا برجل  
يستاذن ويدخل عليهم وهو يعرف باسم ( اخوت شافيه ) اي مجنون  
شافيه نسبة الى بلدته المعروفة بهذا الاسم في قضاء الشوف اطلق عليه

هذا الاسم لحقة روحه وكثرة هذيانه الذي جعله غير بعيد عن الجنون  
فالتفت الى الامير وقال له : « من بان تقف الرجال صفاً من نبع القاع الى  
بيت الدين وبان يحفر كل رجل ذراعاً واحداً امامه ثم يوصلون الحفائر  
فيكون عندك قناة من النبع الى قصرك » فكان ان وجد اقتراح  
الجنون صائماً وهكذا تم المشروع بحيث انطبق المثل المأثور : « اخوت  
يحكي وعقل يفهم » .

### الاول في ابطال عادات قديمة في الحداد

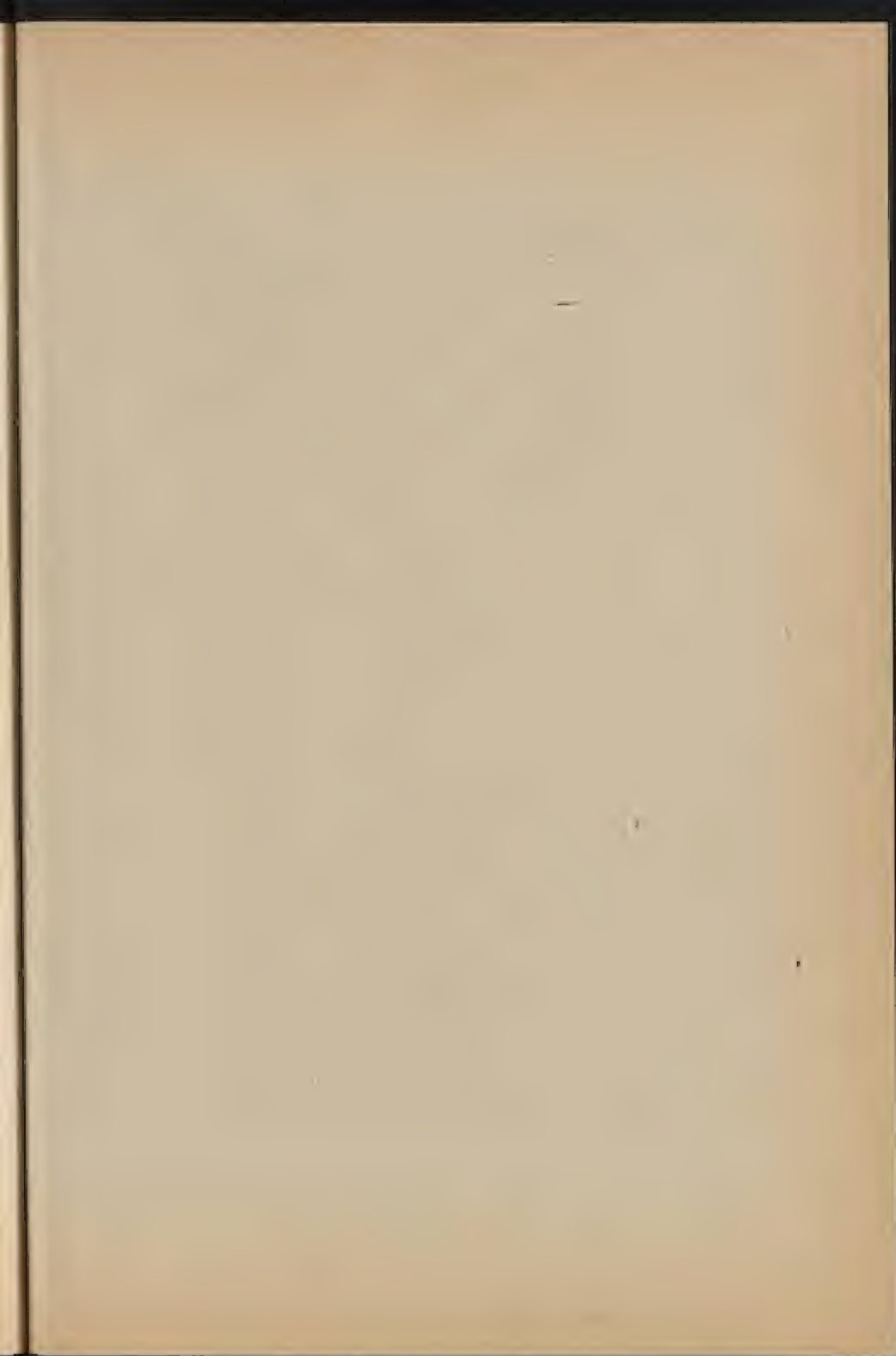
لما توفي الامير حسن اخو الامير بشير في غرر سنة ١٨٠٨  
حضر الامير بشير اليها وحضر اعيان البلاد لتقديم واجب التعزية  
( الاخذ بالخاطر ) « وقد كان الامير بشير ابطال تلك الاحتفالات التي  
كانت تصنفها اعيان البلاد في المحلات مثل فرد البيارق والمناداة وقلم  
الحيل بالسيوف المشهورة ونذب العربيات ووضع شخص من ثياب على  
النعر كهيئة الاموات ويدورون به رافعينه على الاكتاف ويدوم  
ذلك الحال سبعة ايام وسبعة ايام ويمتنع اهل البيت عن غسل الثياب  
ورخي اصحابه الصائم بالرقاب ويمطون الخلاقة اربعين يوماً... وقد كان  
الامير تقوه بابطال هذه الاحتفالات التي ينتج منها الاعتراض على حكم  
رب السماوات . واخيراً فقد المقدر بوفاء اخيه امر بانبات ما كان عازماً  
عليه . ومن هذا الامر في البلاد . وسوف نقسبه بهذه الايراد اكابر





من مجموعة مدرسة الإمام

من مجموعة مدرسة الإمام



البلاد ويبطل احتفال الحداد ٢ (الفرح الحسان ٢ : ٥٣٣) ولما توفيت زوجته الاولى الست شمس سنة ١٧٢٩ امر ان يصير دفنها بدون إقامة تلك الاحتفالات التي كان مشدداً بمنعها .

## الفصل الثالث

### سقوط الامير خارج لبنان

#### حكم شرشل

عظم نفوذ الامير في لبنان وخارجاً عنه فغز اللبناني وارتفع شأنه ايما حل ، بل كانت الباشاوات والأتراك اصحاب الولايات العثمانية المجاورة مثل دمشق وصيدا وطرابلس والبقاع وعكا يلجأون اليه لما كانوا يعجزون عن قمع ثورة في بلادهم او ردغ العصاة . وكان بطش الامير بحكمته وبفضل الجيش المنظم الذي ذكرناه مخضد من شوكة المتمردين ويعيد المياه الى مجاريها . وقد توفى الى توطيد الاستقلال الداخلي في لبنان وكاد يتم له النفوذ بالاستقلال المطلق عن دولة الأتراك لولا عقبات عظام لا محل لذكرها الآن حالت دون ذلك . الا انه وسع حدود لبنان فاعاد اليه بيروت والبقاع وبلبك ووادي التيم التي كانت سلخت عنه عسفاً وجوراً . ومما لا ريب فيه ان جهوده هذه الجبارة كانت ولا شك الأساس المتين الذي بقي عليه استقلال لبنان الناجز في

العهد الحاضر مع جهود الامير العظيم نجر الدين المعني وجهود بطر  
 لسان يوسف بك كرم وبهذا الشأن يقول الكولونيل شرشل :  
 « ذاع صيت الامير بشير في انحاء سوريا جمعا وانتشرت معه  
 الطمأنينة حتى في ابعد الاقطار وكانت هيئة سطوته ونيل حمايته بمثابة  
 حصن منيع بحيث عم الاعتقاد ان الذين يشعلهم الامير بنظره او  
 يتخذهم تحت كنف حمايته باتوا بمأمن من اذى اخصامهم ، فاصبحت من  
 ثم بيت الدين تزدح بالقدامين اليها من كل الجهات . فمنهم آتون لطلب  
 وساطة الامير بينهم وبين حاكمهم الساخط عليهم ، ومنهم رجال من  
 مشايخ العرب يحذروا عن تأدية الضرائب الباهظة وتقديم المغارم التي  
 كان يحملهم اياها الباشاوات ، ومنهم مسيحيون هاربون من سوء  
 معاملة المسلمين القاطنين في بلدتهم ، ومنهم اناس مثقلون بالديون اتوا  
 يسألون مقابلة الامير وهم ينتظرون دورهم بلطف وبفسارغ الصبر  
 موقنين ان مصيرهم في قبضة يده... وهم لعمرى لم يكونوا في ذلك حتى  
 خطأ لان مساعدة الامير كانت عاملا فعلا تميل كفة النصر حينما مات  
 بين المحاربين او المتنازعين من الحكام كانوا اومن الرعايا . وكانت ظروف  
 الحال تزيد مركز الامير قوة وخطورة » .

هذا بعض ما شاهده المستر شرشل ودونته ليطلع عليه رجال  
 دولته اولا ويحفظ في تاريخ الشرق . وشهادته قيمة جلي لان الدولة التي  
 كان معتمدها كانت غير راضية عن سياسة الامير بشير لاسيما انه  
 كان قد عقد معاهدة مع محمد علي باشا حاكم مصر ورفض ان يعقد



معاهدة مع الانكليز ، ثم اتنا تكلمة واثباتاً لما دونه الكولونيل شمرشل  
عن سطوة الامير خارجاً عن لبنان فورد هنا اخباراً عن الباشاوات  
ولاية سوريا الذين لدى مجزهم عن قمع ثورة او رد عدو او دفع دخيل  
يزاحمهم على الوظيفة لم يروا عندئذ مرجعاً لهم ومنجداً الا الامير بشير .  
ومثلهم رعاياهم الذين اتجأوا اليه لدى ايقاع الظلم بهم والتعدي عليهم .  
وفدون ذلك باختصار نقلاً عن الفرر الحسان وتاريخ الاعيان وغيرهما .

### الامير بشير والوهابيون

الوهابيون جماعة من العرب ينتمون الى رجل اسمه محمد عبد  
الوهاب ، ولد في نجد في بلاد العرب ونشأ وقال بواجب اصلاح  
الاسلام واتباعه « يعتقدون بوجود الخالق لا غير وينكرون كل ما  
دون ذلك من نبي او رسول او فرض او سنة الى غير ذلك » ( الفرر  
الحسان ) فاستولوا على البلاد العربية حيث نشروا تعاليمهم وعصوا على  
الدولة التركية واستحوزوا على مكة ونهبوا الكعبة وارهقوا الحجاج  
بالضرائب والمغارم فاغضبوا المسلمين عامة . ثم زحفوا الى بلاد حوران  
« فسيرت الدولة جيشاً لمقاتلتهم وسامت قيادته الى كنج يوسف باشا  
والي دمشق فاضفق في حملته وعاد الى مركز ولايته ساخطاً فاعتاض عن  
عن قوز لم يحرزه بتجديده اوامر الخليفة المتوكل المنسوبة الى عمر بن  
الخطاب ، واما المتوكل ( هو خليفة عباسي في منتصف القرن

التاسع للمسيح ) فلو يجب على النصارى واليهود لبس الثياب المعشمة  
 والوقوف بذل امام المسلمين وخفض اصواتهم في مخاطبة ساداتهم وامر  
 بشئ اي مسيحي كان احتذى بابوجاً اصفر وحرم عليهم الحفرة وكل  
 المشروبات الكحولية ونهى نساءهم عن لبس المجوهرات وحرم عليهم  
 ان يركبوا دابة مسروجة وان يتنقشوا خواتمهم باللغة العربية او  
 يتقشموها بملابس المسلمين لا من فالوسيه ولا عمامة ولا شي آخر او  
 يتكلموا بكلامهم او يكتبوا بكتاباتهم ، ولا يطلع احد منهم على منازل  
 المسلمين ، ونهاهم عن ان يحدوا لاديراً ولا كنيسة ولا صومعة راهب  
 ولا يحدوا ما دثر من كنائسهم ولا مكان جانبها قريب لعمار المسلمين  
 وعن ان يقرعوا ناقوس داخل كنائسهم الا قرعاً خفيفاً ولا يرفعوا  
 اصواتهم وتلحينهم في صلاتهم داخل كنائسهم ولا امام امواتهم وامرهم  
 ان امر عليهم احد المسلمين ان يقبلوه ثلاثة ايام بلبائسها ويقدموا له كل  
 ما يلزمه ... الى غير ذلك من التواهي والاوامر العربية الشكل التي  
 يذكرها بكاملها : ( الامير حيدر صاحب الغرر الحسان ج ٢ ص ٥٢٥ ،  
 لامنس مختصر تاريخ سوريا ٢ : ١٣٦ ، وب . غالب المسكرول  
 صديقة ومحامية ١ : ١٣٦ ص ١٧٥ ) وهو فعل ذلك لغاية في النفس لم  
 تخف على احد وقد يكون تصرفه هذا زلفاً للوهابيين . فعظم من ثم  
 شأن الوهابيين الى انهم في سنة ١٨١٠ جاوزوا حدود سوريا وتهددوا  
 دمشق ونفسيهم والي دمشق المذكور وارسل الى والي عكا سليمان باشا  
 يستنجد به فنهض هذا من عكا الى طبرية ، وقد استكبر الواليان قوة

الوهابيين فارسل والي عكا يلتبس نجدة الأمير بشير الذي لم يرفض  
 سؤاله وسار بجيوشه اللبنانية الى طبرية، وقبل وصوله اليها التقته عساكر  
 سليمان باشا بالطبول. والزمر واطلاق البنادق حتى وصل الى جانب  
 المدينة فوجد الخيام قد نصبت له وكانت نحو ٤٠٠ خيمة سلطانية .  
 ففرض له سليمان باشا القيام بامور الحملة وسلمه كلها يلزم لتدبيرها .  
 « وبعد ثلاثة ايام ورد الخبر برجوع العربان الوهابيين عن تلك  
 الديار بعد ان فعلوا افعالا بريرة في حوران » ( الغرد الحسان من  
 ٥٥٧ ) يذهلك هذا الانهزام المعجل ونعجب من مقدار سطوة الأمير  
 بشير متى عرفت ما كان عليه الوهابيون من القوة والجرأة فان الدولة لم  
 تقدر على اخضاعهم الا بعد حملتين كبيرتين طالبت مدتها نحو سبع  
 سنوات ( ١٨١١ - ١٨١٨ ) عهدت بهما الى حاكم مصر محمد علي باشا  
 فقاد الاولى ابنه موسون باشا ولمناسبة ارساله بهذه الحملة عمل محمد  
 علي باشا على اهلاك المالك . وقاد الحملة الثانية ابنه ابراهيم باشا والتي  
 القبض على زعيم الوهابيين الامير الباسل عبدالله ابن سعود « فاذن له  
 بالمشول بين يدي محمد علي باشا وتقبيل يديه فترحب به كثيرا لانه كان  
 يعجب من جسارة الوهابيين ثم سأله ما قلته بابراهيم فاجابه قائلاً انه قد  
 قام بواجباته ونحن قنا بواجباتنا وهكذا اراد الله . وارسل الى الاسكندرية  
 فمطافوا به في اسواقها ثلاثة ايام ثم قتلوه ( تاريخ مصر لزيدان ٢ ص ٢٣٥ )  
 وقد هلك في هاتيك الحملتين عدد لا يحصى من الرجال فتأمل .  
 ولدى عودة الامير من هذه الحملة الى لبنان هناك المعلم تقولوا الترك

بقصيدة طويلة مشتهرة في ( الفرر الحسان صفحة ٥٦٠ ) هذا مطلعها :  
عرا الناس خطب فادح لا يقدر آثاره اوغاد من البدو فحمر  
ومنها :

فلبى النداء بحر الندى قاهر العدى  
شهاب الهدى ذاك السعيد المظفر  
بشير الملا بالنصر واليسر والملا  
امير به اعتر السولا والتأمر  
ومنها :

وتم لهم نصر من الله مقبل  
وجه ابي سعدى وفيه تبشروا

### الامير بشير ويوسف باشا الكنج

على اثر انهزام الوهابيين من ضواحي دمشق اسر سليمان باشا  
والي عكا الى الامير بشير ان قد اتاه امر سلطاني بتعيينه واليا على  
دمشق بدلا من يوسف باشا الكنج ، وانه يخاف ان هذا لا يسمها  
طوعا لانه كثير المال والرجال بحيث لا يقدر سليمان باشا على اغتصابها  
فان رضي الامير ان يساعده لاستلامها سار الى دمشق والاردن الفرمان  
سرا الى الدولة . فوعده الامير بالمساعدة وذهب الخليفة الى دمشق  
ولما بلغها حضر اليهما وفد من اعيانها فقال لهم الامير : « خير لكم



ان تسلموا سليمان باشا والا فساأجلب عليكم عساكر مثل قطع الغمام  
ولا احوال حتى اسلمه المدينة ولو خرابا فان قبلتم نصيحتي فاطردوا  
يوسف باشا من عندكم ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم الى التهلكة " فاضرب  
الدمشقيون وطلبوا مهلة ثلاثة ايام الا ان يوسف باشا ابى التسليم  
فخاربه الامير بشير وسليمان باشا وكسراه فولى هاربا ودخلا المدينة  
بن علام الانتصار .

وفرض سليمان باشا الى الامير بشير جميع الامور والتدابير  
والاسنادات وظائف الى من يريد في كل الانحاء السورية . فقام الامير  
بهذه المهمة احسن قيام ثم رجع الى لبنان فافرا كما تقدم .

### فتح قلعة سانور

كان موقع هذه القلعة بين مدينة نابلس ( فلسطين ) وقرية جنين  
بناها آل الجزار من نابلس وجعلوها حصنا هائلا يلجأون اليه عند  
الاضطرار ملصقا من ظلم ولادة عكا ، ولشدة مناعتها واتساعها كانوا  
يقيمون فيها آمنين الشهور والسنين بعيالهم وخدمهم وحيولهم واموالهم  
بعد ان يحرقوها بما يلزمهم من الزخائر والقوت والماء ، وطلما حاصرها  
ولادة الاتراك وارتدوا عنها خائبين حتى ان الجزار نفسه مع جيوشه  
حاصرها سنة ١٨٠٢ وارتد عنها خائبا . وفي سنة ١٨٢٩ انتفض قوم من  
البابليسين على والي عكا عبد الله باشا وتمصنوا في قلعة سانور فحاصرها

عبدالله باشا وافرغ كل قتايله وكان الفشل نصيبه فبلغ به الغضب  
 وانحنى ان اقسام بالافتحار ان لم يأخذ القلعة ولما ظهر عجزه وانفضح  
 عيبه لم يجد من ينجيه من العار والموت غير امير لبنان الشهير ورجاله  
 البواسل فكتب الى الامير يتعلقه ويستجده فلباه الامير وقدم برجاله  
 الى عكا حيث التقاه الوالي باعظم مظاهر الاجلال . ثم اقبل على القلعة  
 حيث كان عسكر عبدالله باشا فاخذ الامير يدير العساكر وضرب الحصار  
 على القلعة فكانت النساء تنفس الالحف بالزيت وتشعلها وترميها لينظر  
 النابلسيون عسكر الامير ويطلقوا الرصاص عليه والامير يضيق عليهم  
 من كل جهة فوقعت رهبة الامير في قلوب النابلسيين وبدأوا يستسلمون  
 فئة بعد فئة . وكان عدد من مشايخ نابلس في عكا فاستدعاه عبدالله باشا  
 واخذ يهددهم قائلا: « اما تعلمون ان رجال الامير اللبنانيين مشهورون  
 بالشجاعة والبطش واميرهم هذا ما سار في مهمة الا وايده الله فيها  
 ونصره على الاعداء . . اما سمعتم في قرية عرطوز كيف شنت عساكر  
 يوسف باشا الكردي والي دمشق وكيف ظفر بعساكر درويش باشا  
 في ريشيا وهزمهم الى دمشق وكيف ظفر في واقعة المزة وكيف شنت  
 شمل عساكر المختاره » فلما سمع المشايخ كلامه ارتعدوا وجعلوا يعتذرون  
 وتخابروا مع ذويهم بامر الصلح ولم يلبثوا ان سلموا القلعة واستسلموا  
 على يد الامير وقد دام الحصار ثلاثة اشهر فذكر الامير عندئذ القلعة  
 من اساسها وهدم آبارها ورجع مظفرا . وعد فتحه لتلك القلعة المنيعه  
 من امجد الصناعات التي خطت في تاريخ لبنان ومن اكبر مظاهر الصولة

التي وصل اليها هذا الجبل في عهده .

### والله لست اقدر على امير الجبل

في شباط سنة ١٨٣٢ وصل الى دمشق المطران متى نقار ( من السريان اليقانية ) حاملاً فرمان بطريركه محاولاً استرجاع كنيسة مار يهناء من السيد يعقوب حلياني مطران السريان الكاثوليك . وراح يتهدده ويتوعده بمرافعته الى والي دمشق فاستشار المطران يعقوب اعيان جماعته كآل شيخا وحبيش وابي همد واليان ولطفي فاشاروا ان ينهزم الى لبنان ريثما تنجلي الامور وتهدأ الخواطر .

استرسل المطران متى في العداء وقصد الكنيسة في قعر من اصحابه فكسروا الباب ودخلوا عنوة ورشوا الوالي فقبض على ٢٥ شخصاً من اعيان السريان الكاثوليك واتقاهم في السجن يريدون على احضار مطرانهم الى ديوانه .

فر المطران يعقوب الى لبنان طلباً لمشورة ابنائه ولاذ بالامير بشير الكبير في بتدين وتوسل اليه ليحميه ويكشف عنه خدومه فرتب الامير قلبه ووعدته بالدفاع عنه بكل طاقته مهما كلفه الامر .  
ما مر قليل حتى كتب والي دمشق التركي الى الامير اللبناني يطالبه بالمطران فكاتب له الامير جواباً مبهما . فكرر الوالي الطلب ملحاً على الامير ليلبي طلبه .

توقفت عند ذلك جذوات النخوة اللبنانية في قلب ألبت  
العظيم فكتب إلى الوالي عبارة ذهبية هذا نصها : « بما أن المطران  
يعقوب استجار بي ودخل تحت حمايتي فلست أسفه ولو هجم على الجبل  
كله من رأسه إلى أسفله » .

فما كان من الوالي إلا أن استدعى المطران متى وأصحابه وقال لهم :  
« والله لست أقدر على أمير الجبل » .

أقام المطران يعقوب شهراً في ضيافة الأمير بشير معزاً مكرماً  
رثما خدمت الفتنة فعاد إلى دمشق واسترجع كنيسة وما عثم أن قصده  
المطران متى خصمه ووافق على عقيدته الكاثوليكية وتولى رعاية  
إرشية حمص وحماة والنبك وعاش كلا المطرانيين متأكفين متفقين  
يفرغان ما لا مزيد عليه من الحمرة والنشاط في رعاية إرشيتهما (البشير).

### الأمير بشير والوالي الدخيل

مات الجزائر سنة ١٨٠٤ فتناحست البلاد العمماء حكامها ورعاياها  
وكان من عهد وجيز قد توصل هذا الطاغية بدهائه إلى أن عينته الدولة  
واليا على دمشق مع احتفاظه بولايات صيدا وطرابلس وفلسطين فأدعى  
استماعه باشا سر عسكر الجزائر أن هذا كان بايعه الولاية من بعده  
فتمسك بنفسه خلفاً له وأمر بالمناداة باسمه وكتب يبشر عمال الولاية  
بارتقائه المنعجب واستلامه الأحكام . فلم يخف أمر اختلاعه على عمال



الدولة ولا سيما على الأمير بشير الذي استعرك الأمر بحكمة واحتياط  
 لتطواريء منعاً لما خشي وقوعه من الاضطرابات من جراء هذا الحادث  
 فأمن الطرق بين بيروت والشام وسكن روع مسلمي بيروت الذين  
 كانوا عادوا دروز الجبل، وأوجسوا منهم عراً . ولم يلبث أن استلم كتاباً  
 من سليمان باشا حاكم دمشق من قبل الجزار يستشير به ويوصيه بصيانة  
 الطرق والمحافظة على المدن فاجابه الأمير أن الطرق مضمونة وأنه لا يعترف  
 بأحمدي باشا لأنه أخذ المنصب دون أمر الدولة . فأرسل حاكم دمشق  
 هذا الجواب إلى اسطنبول . فأكبر الباب العالي عمل الأمير وكتب  
 إليه مادحا أمانته وحسن تديبه واعداءه خيراً ونحبره بأقامة إبراهيم  
 باشا خلفاً للجزار . فعاون الأمير الوالي الجديد في قتال المزارحين الدخيل  
 ومكنه من استلام منصبه

### الأمير بشير والواليان المتنازعان الولاية

وفي سنة ١٨٢١ حدثت منازعة شديدة وحزب هائلة بين  
 درويش باشا والي دمشق وعبدالله باشا والي عكا وصيدا على أثر إعلان  
 إذاعة درويش باشا ، وهو أن الباب العالي أقامه والياً على صيدا علاوة  
 على ولاية دمشق فادعى عبدالله باشا أن الدولة عينته هو والياً على دمشق  
 مع الاحتفاظ بولايته على عكا وصيدا وفلسطين وطرابلس وبرز للعيان  
 فرمانا سلطانياً يثبت قوله ، واستعان بالأمير بشير لتنفيذ الأوامر

السلطانية فزحف الأمير برجاله على عساكر درويش باشا في المزة قرب الشام فهنّهم وأكرههم على الخروج من دمشق. إلا أن الأمير لم يسمح لرجال عسكره أن يدخلوا الشام حفظاً لجوارها وصيانة لحرمها فرجع عسكره إلى المزة وأقام في سهلها غير أنه بعد مدة اكتشف العسكر المكنون وهو أن الفرمان الذي أظهره عبدالله باشا كان هو نفسه قد زوره فغضبت عليه الدولة وأرسلت عضداً قويا لدرويش باشا فاستلم الحكم. أما الأمير بشير فهاجر عند ذلك إلى مصر فاحسن استقباله حاكمها محمد علي وقال له الكلمة المشهورة: «لم يدخل مصر أعز منك» وفي تلك الزيارة تجرت بينها المعاهدة التي سبقت الإشارة إليها فيما يخص مقاصد محمد علي باشا السياسية في الديار الشامية

### الأمير بشير ودروز حلب

في قرى كثيرة من جهات الشوف في لبنان يسمعون سكانها الدروز اسم (فلان الحلبي) ترى ما أصل هذه التسمية؟ ينسب أصلها إلى حسن سياسة الأمير بشير وأخبار الطمأنينة في لبنان التي كانت تتجاوزت حدوده بمسافات شاسعة.

ذلك أنه كان في الجبل الأعلى التابع ولاية حلب أربعائة عائلة من الدروز حدثت في سنة ١٨١١ فتنة بينهم وبين أهالي تلك البلاد الذين كانوا يكثر منهم عدداً. فصارت بعدها تقع التعديات الكثيرة والمظالم

على الدروز فاستأنسوا بالامير بشير الذي ارسل اليهم معتمداً من  
قبله فارس الشدياق بجماعة وارسل الشيخ بشير جنبلات رجلاً درزياً اسمه  
حسون ورد وكتب الامير بشأنهم الى حكام تلك الجهات . ولم يلبث  
معتمدوه ان اتقدوا اولئك الناس واحضروهم الى لبنان ففرقهم الامير  
للسكنى بالقرى اللبنانية بين الدروز وامر لهم بمائة الف درهم لاجل  
معاشرهم ولذلك بقي بعضهم يناسب اسمه الى وطنه القديم ومثل هذه  
الاسماء كثير بين الشعوب .

### الامير بشير وطائفة الملكية

في سنة ١٨١٧ وما يليها ثارت اضطرابات في الشام وطلب على  
الروم الملكيين لسبب انضمامهم الى الكنيسة الرومانية وقد استحصل  
اخصامهم على فرمانين سلطانيين ضدهم يؤمر فيها الولاة بتنفيذ الاوامر  
بشدة ، ففرع الملكية الى جبل لبنان فاستقبلهم الامير بشير وساعدهم  
وسهل لهم الاقامة في القرى اللبنانية مثل دير القمر وزوق مكابيل في  
كسروان ، وفي هذه البلدة تكونت النواة الطائفية للملكيين المهزمين  
وقد عضدهم كثيراً ابناء الاسرة الخازنية النبيلة ووقفوا عليهم الاوقاف  
كما هو مشهور .

## امراة وحدها في وادي القرن

نادرة تلامس الموضوع ستأتي في الفصل ٣ من هذا الجزء

في الحوادث التي اوردناها تأييدا لقول الكولونيل شرميل في امتداد سطوة الامير خارجا عن لبنان ومن حوادث غيرها لم نسردها لا يتالك القارئ من مشاركة الاستاذ فؤاد افرام البستاني في حكمه على عهد الامير بقوله ( تاريخ لبنان صفحة ٩٠ و ٩١ ) :

« وهكذا كان الجيش اللبناني اصبح في الربع الاول من القرن الماضي اعظم قوة عسكرية في جميع الاقطار الشامية وامين اقوى الامراء قاطنة » ويلامس موضوعنا ما اوردته الاستاذ نفسه عن لبنان بقوله انه « كان ولا يزال ملاذا للاقليات العنصرية والمدنية من الموارنة الى المردة الى الاسماعيلية الى الدروز الى الشيعة في القرون الوسطى الى الملكية الى السريان الكاثوليك الى الارمن في عصرنا المتأخر »

ومما يحسن ان نختم به هذا الفصل سطوة الامير في الخارج اذ ان في ايام حكمه ارتفع شأن اللبناني واعتز اسمه في انحاء سوريا حتي امر حكامها باعفاء ابناء لبنان اثناء مروره واقامتهم في مدن سوريا من دفع الرسوم المطلوبة فيها من الغرباء . ومما دونه التاريخ عن تقلبات الزمان وعبره انه بعد ان كان الامير بشير وولعه الامير يوسف بلبقيا في سجن عكا سار الامير بشير حين توجه اليها يلقي العساكر موفدة الى ملاقاته مع الموسيتي على مسافة ساعات من المدينة وتطلق له المدافع اجالا لتقدمه ويخرج الوزير بالتدات لاستقباله



## الفصل الرابع

الأمير بشير وأصحاب الاقطاع والولاة

توحيد السلطة في لبنان

ان الحكم الاقطاعي ساد في لبنان منذ ايام الصليبيين وقد اثبتته السلطان سليم الاول الذي اعترف بامتيازات لبنان واقراها سنة ١٥١٦ ولما استلم الأمير بشير الاحكام كان اهم اصحاب الاقطاع ( المقاطعية ) في لبنان الامراء بنو شهاب والامراء اللعيون والمشائخ بنو ضاهر وبنو حبيش وبنو الخازن وبنو الخوري صالح وبنو الدحداح وهم مسيحيون ، الافريقا من آل شهاب كانوا مسلمين وفريقاً من آل بالمع كانوا دروزاً ، ثم الامراء بنو ارسلان والمشائخ بنو جنبلاط وبيت ابي نكد وعبد الملك وتلحوق من الدروز والمشائخ الحماديه المتاوله ، وقد ادى ذور الاقطاع خدماً جليلاً للبنان لذلك كان الأمير بشير شديد المحافظة على امتيازاتهم محافظته على كل العادات والتقاليد اللبنانية الحميدة .

ولكن لم يخف عليه ما كان كثير من منهم يشيرون من الفتن وم يبدون من التحيزات الهدامة ولا سيما عدم امانة البعض منهم مما اوغر صدره عليهم وعزم ان يقتلهم اصل العلة وهوان يلغي امتيازات الاعيان الذين كانوا يسيئون استعمالها وبالاخص لان تعددت لديه الشكاوي

والتذمرات من هؤلاء بسبب ظلمهم ابناء الشعب واستبدادهم بهم  
 فاستعان الامير ببعضهم ضد البعض الاخر بحكمة ودهاء « فنكس بني  
 جنبلات بكبيرهم الشيخ بشير اغني رجال الاقطاع وذلك لما عظم شأن  
 الامير ولم يتسن للشيخ تحقيق سيطرته على البلاد كما كان يتوخي اخذ  
 يسعى للايقاع بالامير مع بعض اقاربه . فوفقت النفرة واسرع الامير  
 فسعى به لدى الباشا في عكا فقتله « تاريخ لبنان الموجز للبستاني ص .  
 ٨٩٠ » ورفع يد اكثر اصحاب الاقطاع عن مقاطعاتهم واقام عليها رجالا  
 من اقاربه وخاصته موقتين لعزلهم حين يشاء ، واوقف غيرهم من  
 الاقطاعيين عند حدود معينة وجعلهم مسؤولين عن كل ما يحدث  
 في اقطاعاتهم ، ومنع ظلمهم وعاملهم بالشدة والصرامة الى حد قيل عنه  
 كان عادلا مستبداً فعم الامن في البلاد وتوحدت السلطة وعز مركز  
 الامير ..

ولما امن الامير اخلاص اصحاب الاقطاع صار بوسعه ان يعزز  
 جيشه بواسطتهم فاصبح بإمكانه ان يجرد الى ساحة القتال ما لا يقل عن  
 خمسة عشر الف مقاتل من اللبنانيين ذاعت شهرة بسالتهم مما جعل  
 للامير سطوة خارج لبنان عظيمة عز ان يوجد لها مثيل على ما رأيت  
 في الفصل السابق ..

### لكل ذي كرامة كرامته

ان ايلاء كل ذي حق حقه وكل ذي كرامة كرامته هو عنوان

الكمال في الحكم وقد تجلت هذه الحلة في معاملة الأمير بشير للاعيان  
الامناء وبهذا الصدد يلد لنا ايضاً الاستشهاد بالكولونيل شرشل الذي  
بعد ان وصف وقار مجلس الأمير وجلس الامراء والمشايخ متبيين  
قال ... « وكان الامراء والمشايخ من دروز ونصارى الآتين لتقديم  
واجب الاعتبار له يقفون امامه مكتوفي الايدي الى ان يشير اليهم  
بالجلوس . ولكنهم لم يكونوا يجلسون الا بعد ان تكرر لهم الإشارة  
مرات عديدة . الا انه بالوقت نفسه كان يستقبل هؤلاء الزعماء بغاية ما  
يكون من الانس والترحاب والاعتبار فيقف لهم لدى دخولهم عليه  
مبدئاً نحوهم آيات الادب والكياسة التي يتلقاها القوم دوماً بالارتياح  
وزد انه لم يكن ليخل بهذه المظاهر حتى على الذين كانوا يتوقعون منه  
اشد امارات الغيظ والاستياء . »

اما بشأن علاقته مع والي عكا الذي كانت تأتي الخلعة على يده  
وترسل الاموال الاميرية بواسطته الى الدولة فقد كان الأمير في  
الابتداء يعمل على ارضائه انتقاء شره ومنعاً لتدخله في شؤون لبنان .  
« نجد للأمير في اول عهده في الحكم غلطات صادرة عن قلة حركته  
واندفاعه وراء حب الرئاسة وحفظ الكرامة لثلاثين عن الحكم  
مرغماً لكن الايام علمته فاصبح يفضل اغضاب الوالي على ظلم رعاياه . »  
هذه ملاحظة ابداءها مؤرخ لبنان المدقق ب . قرألي في كتابه  
( الأمير بشير والدولة العثمانية ص ١٠ ) ونظنه فيها يشير الى ما كان  
يظهره جباة الاموال الاميرية من الشدة والقساوة في الشعب تنفيذاً

لاوامر الامير بشير الذي كان يضطر الى ارساها الى الطاغية المشهور احمد الجزار والى عكا كما تقدم . من ذلك انه لما شنع الجزار الامير يوسف شهاب وألبس الخليفة للامير بشير اخذ يطالبه بالمال الذي تبقى له من قبل . فالتزم الامير ان يزيد مال الميرة ستة اضعاف فثقل هذا جداً على كاهل الشعب المسكين وعلت شكياتهم وبلغت آذان البطريرك الماروني يوسف التيان الذي وقف اذ ذاك وقفته المشورة في الدفاع عن حقوق ابنائه حتى انه ، على ما جاء في كتاب ( لبنان ) تأليف ي . داغر التنوري صفحة ٣٩٠ نقلاً عن مخطوط كتب في عهد الامير ، لما رأى البطريرك ان النصح الابوي لم ينجح في ردع الامير بشير عن ارهاق الشعب بتحصيل المال ستة اضعاف ، كتب البطريرك اليه مهدداً باطلاق الحرم الكنسي عليه ان لم يخفف الاثقال عن الناس فعدل الامير عن الشدة ومال الى اللين .

هذا فيما يخص علاقات الامير مع والى عكا اما بقية الولاية فلم تكن له معهم ادنى علاقة ، وكانوا لا يحسرون على التعدي على لبنان بل اضمحوا بعد مدة وهم بحاجة الى مساعدة الامير وسلطوته لاختضاع الثوار من شعبهم كما رأيت مطولاً في الفصل السابق .



قصر الأمراء

المعيني

في صلما

وهو من

الخشم قصور

الاقطاعيين في

لبنان وقد ورد

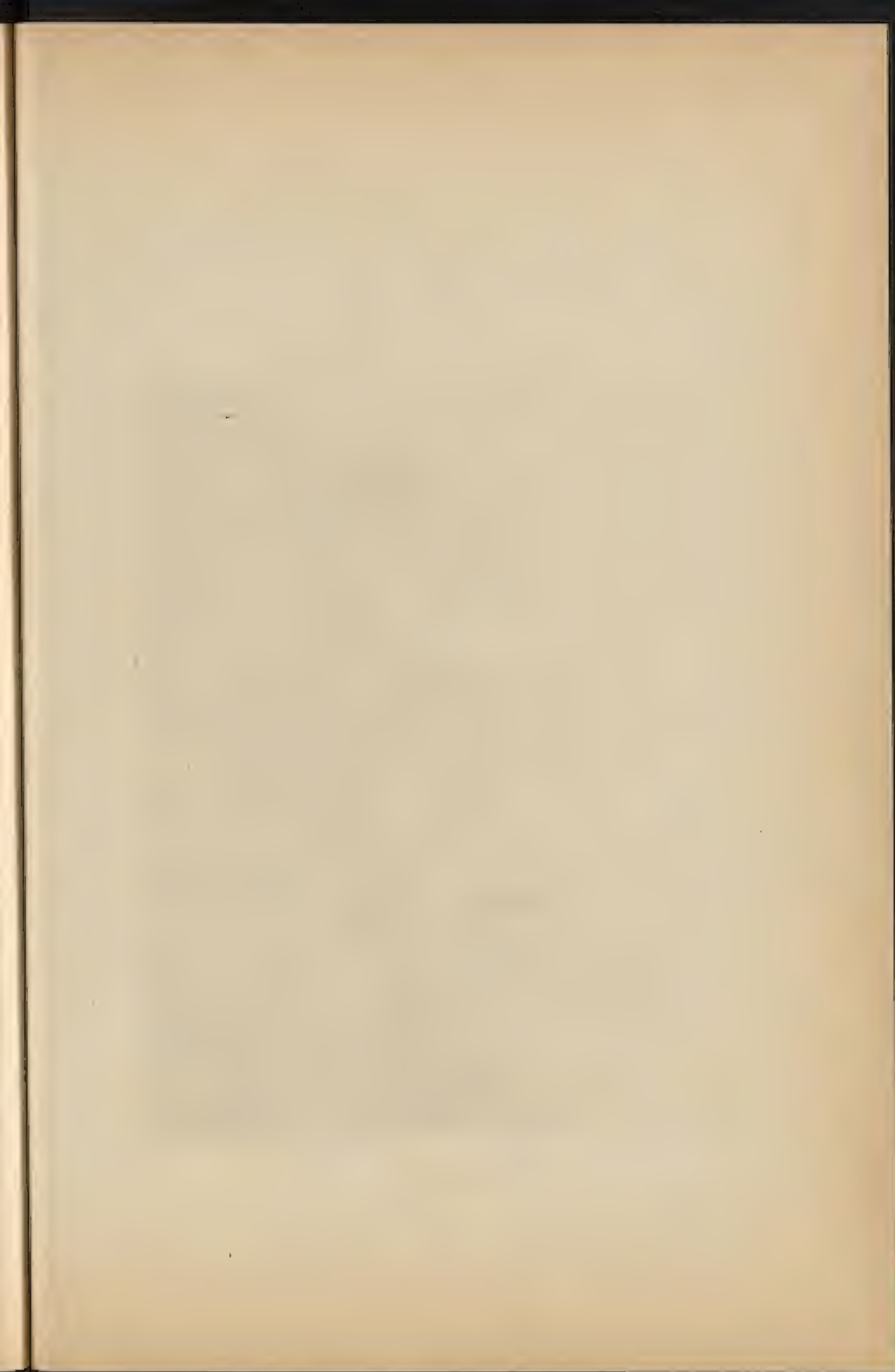
ذكر اربابه

المواليين للامير

بشير مراراً في

هذا الكتاب .





## الفصل الخامس

علاقات الامير مع الرؤساء الروحيين

زيارة البطريرك يوسف حبيش للامير بشير

واما من جهة علاقته مع الرؤساء الروحيين فقد كانت علاقات  
تجلى واحترام يحافظ على كرامتهم وينتصر لهم ويساعدهم عند لزوم .  
ويجدر بنا في هذا الصدد ان ننقل للقارىء حادثاً تجلت فيه اخلاق  
الامير بشير من هذه الناحية بابهى مجالها وهي زيارة البطريرك يوسف  
حبيش للامير في بيت الدين . وكان الداعي الى تلك الزيارة ان الامير  
دعا البطريرك ان يحضر الى بيت الدين لبعض الشؤون الهامة لتعزيز  
الموارنة في جنوبي الجبل وليقوم بنفسه بحفلة تكريس الكنيسة  
الجديدة الجميلة التي بناها الامير بجوار القصور التي شيدها هنالك له  
ولاولاده وبنى بجوارها داراً لسكنى الكاهن الذي يقوم بخدمتها  
وقد اتم بناء الكنيسة قبل القصور .

وقد نشر مؤرخ لبنان المدقق ب . قرألي فصلاً رائعاً في هذه  
الزيارة نقلاً عن المصادر الثابتة يجدر بنا درجه هنا نقلاً عن جريدة

السريق الغراء ٢٥ تشرين الاول ١٩٤٩ » وكان قد شيد في بيت الدين كنيسة على تقفته الخاصة ، فسمى المطران البستاني لدى الامير بان يدعو البطريرك الى تدشينها ، فيفسح المجال بينهما للتغام التام في سبيل مصلحة الطائفة والدين . ولما نزل الامير عند هذه الرغبة قصد البطريرك الى بيت الدين ببعض خاصته ، وبحشد من الامراء والمشايخ والرجال ، فحرت له في الطريق استقبالات حافلة حارة ، كان لها التأثير الطيب لدى الامير ، وجعلته يثق من مكانة البطريرك الشعبية والتفاف اعيان البلاد حوله . فوافد لاستقباله على جسر القاضي اميرين من انجاله بثلاثمائة فارس رافقوه ، حتى اذا بلغ السراي خف بنفسه للترحيب به على الباب الكبير ، ومشى قدامه الى قاعة العامود حيث اجلسه بجانبه وامر ان يقدم اميران القهوة والشاي للاثنتين في آن واحد . ثم تقدمه الى جناح الحريم ، حيث ازاله زيادة في اعتباره ، ودخل امامه الى الغرفة المعدة لتزوله . ولما اصبح داخلها اغلق الباب وانحنى على يده فقبلها وهو يقول : « لقد استقبلتك في قاعة العامود كحاكم البلاد ، والان استقبلك في بيتي كاحد ابنائك » . فانحنى البطريرك عليه وعانقه ثم جلسا ساعة تنهما في اثنائها على جميع المسائل المتعلقة بينهما .

« ولما حان وقت الغداء مد له السباط في قاعة الحريم وجلس حوله هو واسرته من امراء واميرات . حتى اذا انتهوا و جاؤوا للبطريرك بالابريق والطشت لغسل يديه ، حسب عادة ذلك العهد ، مسك الامير الابريق ليصب الماء بذاته . فتمنع البطريرك مراعاة لمقامه . فانتهره



بقوله : « انت اليوم ضيفي فعليك ان تطيعني في كل ما يختص بالضيافة كما اني مستعد ان اطيعك بكل ما يختص بالشؤون الروحية والطائفة » .  
فاخذ البطريرك يستعجل ، فقال له الامير : « تمهل يا سيدنا تمهل » .  
ولما شاء الانصراف بعد حفلة التدشين قال له الامير : « انت ضيافة الامير اسبوعين . وانا اعفيك من اسبوع لكيلا اعطل شؤون الطائفة »  
وامسكه لديه اسبوعاً كاملاً .

وهذه الزيارة التاريخية ذكرها ايضا المطران دريان في « النبذة التاريخية صفحة ٤٢٥ » ويؤكد انه سمع هو نفسه روايتها من شاهد عيان صادق هو البطريرك بولس مسعد الذي كان في ذاك الحين كاتب اسرار البطريرك الحبشي وقد رافقه في زيارته للامير . ويختتم المطران روايته بهذه الفقرة : « وقد اكبر جميع الحضور تواضع الامير واخلاص خضوعه واحترامه البليغ لرئيس دينه الاعلى . وهذه الشهادة التي سمعتها انا باذني من البطريرك مسعد لا سبيل لتكذيبها وراويتها شاهد عيان من اصدق الناس واطهرهم ذيلاً كما هو مشهور . وقال هذا الشاهد المعتبر انه اذ اراد البطريرك ان يداول الامير في بعض الامور التي تتعلق بسلطته الدينية في جعلها سيامة مطران ابرشية طرابلس خوف حصول المشاكل من قبل بعض الخواص اجابه الامير بكل اخلاص : « اعمل يا سيدي كما ترتئي ولا تراع غير ذمتك وجانب الله وخير الطائفة فانك وحدك رئيسها وابوها والمسؤول عنها امام الديان العادل ، فلا يشاركك احد ولا يزعجك مزعج ولو كان احد اولادي ، وليس علينا

جميعاً الا الخضوع لك والتسليم بكل ما تعمله مما تراه بحكمتك آتلاً لمجد  
الله وخير الطائفة العزيزة .

فقد كان عند الامير امين ابن الامير بشير كاهن من عائلة  
خضير ظامح الى هذه الارشسية ، وكان الامير امين يلج على البطريرك  
بسياسته عليها وهو لا يرى انه موافق لها ، والى ذلك يري الامير بشير  
بقوله السابق . وقد اقام البطريرك في ضيافته ثلاثة ايام على اجل كرامة  
وكان كل يوم يشهد قداسه ويتناول القربان الاقدس من يده بكل  
خشوع واخبات .

### قضية المطران اغاييوس الرياشي

لما توفي المطران يوسف دهان مطران بيروت على الروم  
الكاثوليك اقيم خلفاً له الخوري يعقوب الرياشي باسم اغاييوس خلافاً  
للتعليمات الواردة الى البطريرك والقاصد الرسولي بهذا الشأن .

واذ اراد المطران الجديد ان يزور حاكم لبنان الامير بشير  
الكبير رفض هذا قبول الزيارة ، احتراماً لسلطة الكنيسة المقدسة  
وهو الامير الماروني ابنها الامين ، مصرحاً انه لا يمكنه اعتباره رئيساً  
على شعبه ما لم يرد اليه التثبيت من روميه .

اما الكرسي الرسولي فقد امره بالانسحاب من دار الاسقفية  
والاقامة في دار مار سمعان عين القبو المتن محرمات عليه استعمال الحقوق

والانعامات الاسقفية فامتثل خاضعاً . واخيراً اخرجته من هذا المأزق  
الطوري يوسف الماروني من زوق مكاييل احد المعروفين والنافذين في  
دوائر روميه وبمساعدة السيد مظلوم سعى للحصول على التثبيت المنكر  
عليه فتم ذلك سنة ١٨٢٩ . ( اخذاً عن مجلة اصداء الشرق الفرنسية  
مجلد ٦ وجه ٢٠ ومجلد ٩ وجه ٣٦٠ ) .

### البابا بيوس والامير

اذا كان الامير عرف ان يولي كل ذي كرامة كرامته فقد اتيح  
له ان يشهد بفضله ويؤليه الكرامة والتكريم صاحب اكبر نفوذ ادبي  
في العالم ، وذو السلطة العليا في الكنيسة الكاثوليكية ، اعني به قداسة  
البابا . فان معاصره البابا بيوس السابع بعث اليه رسالتين مثبتتين في  
مجموعة البراءات البابوية تاريخ الاولى ١٨ نيسان سنة ١٨٠٧ والثانية  
بتاريخ ١٥ شباط سنة ١٨١٧ وفي كليهما اشارة الى ما اداه الامير من  
الخدم الجليلة في سبيل الدين مع عبارات الشكر والتقدير والاعتبار .  
وبما ان هاتين الرسالتين لم يشتهر امرهما لدى العموم فنشرهما في ما يلي  
لانهما تزيينان حياة الامير الكبير . ثبت الاولى منها نقلاً عن ترجمة  
عربية قديمة وارادة في كتاب تاريخ المقاطعة الكسروانية صفحة ٢٢٥  
وفيها يوصي الخبر الاعظم الامير بشير بقاصده المطران بولس غندلني  
الذي اقامه خلفاً للقاصد السابق المطران جرمانوس الخازن .

## رسالة البابا ييوس الاول الى الامير بشير

ايها الابن النجيب والرجل الشريف السلام والبركة الرسولية .

انه اذ كان بهذا القرب قد توفي الاخ المحترم جرمانوس الخازن  
مطران دمشق الذي كان قد اقيم منا زائراً رسولياً في نواحيكم فالتمت  
خدمتنا الرسولية اقتضت ان نقيم عوضه رجلاً آخر ملائماً لكي يتراأس  
على قضايا الكاثوليكين خوفاً من ان يلتحق ضرر ما بالديانة المسيحية  
الكلية القداسة . فهذه الوظيفة ذات الثقل العظيم قد قلداها تولدنا  
الحبيب لويس غندلني الذي كنا اقتناه سابقاً بمنزلة قاضي لدى المتوفي  
جرمانوس الخازن من كونه كلي الكفاية لتتبع التزامات هذه الوظيفة  
وعزيراً لدينا لاجل صفاته الحميدة . فنوصيك بهذا الزائر بكل اجتهادنا  
ولا ريب عندنا بانه سيكون عزيراً لديك لاجل فضائله ولاجل توصياتنا  
به . فانعطافك نحونا واحترامك لهذا الكرسي الرسولي يقنعنا ان  
توصيتنا بالمذكور ستفوز بفاعلية عظيمة لديك وعلى الخصوص توصيتك  
بالقضايا المختصة بالديانة الكاثوليكية وتوسل اليك بان لا تكف عن  
صيانتها والمحاماة عنها بسلطانك واقتدارك بحسب مقتضى غيرك  
وحبك نحوها . فلا ريب ان بتتبعك لهذا الامر ستحصل على نعمة من  
قبلنا والامر الاعظم المعول عليه هو انك ستنال مجازاة عظيمة من  
لدى الله وتؤمن انك ستتم بالفعل ما ذكر بكل استنطاعتك . ومن ثم  
بكل حب نمنحك بركتنا الرسولية عربوناً لودنا نحوك يا ايها الابن



الجيب والرجل الشريف . اعطي برومية حذاء كنيسة القديسة مريم  
الكبرى تحت ختم الصياد في ١٨ من نيسان سنة ١٨٠٧ والثامنة من  
حبريتنا .

وقد جعل هذا القاصد اقامته في كسروان في دير مار يوسف في  
عين طوراً كسروان ثم ان خلفه بنى ديراً شرقي زوق مكاييل في المحل  
المسعى التراب وجعله كرسياً للقصادة ثم باع هذا الدير القاصد  
لودوفيكوس الى اسعد عواد من زوق مكاييل وعمر عوضه ديراً في  
حريصه .

### الرسالة البابوية الثانية الى الامير بشير

نشرتها بالطبع لأول مرة في العام الماضي جريدة البشير الغراء  
( المحتجة موقتاً ) نقلاً عن ترجمة عربية بخط السعيد الذكر البطريك  
مكسيموس مظلوم الرومي الكاثوليكي الذي نقلها عن اصلها اللاتيني  
المثبت في مجموعة البراآت الحبرية للموارنة تحت عدد ١٩٠

من البابا بيوس السابع الى جناب الشريف الامير بشير شهاب  
الكلبي الاقدار فليوهب لك السلام ولتضاعف النعم الالهية .  
ان فؤادنا الابوي قد استوعب ابتهاجاً عظيماً عندما تحققنا  
من اخوتنا بطريرك الموارنة واساقفتها مقدار وفور حسن عنايتك  
وملاحظتك للطائفة المذكورة نفسها ، وبكم من الاهتمام بتجديد حضرتك

بان هؤلاء يستطيعوا ان يعترفوا بشرية الله الكلية القداسة وبحقائق  
 الايمان الكاثوليكي بغير مانع ما اصلا . الامر الذي لا يمكن ان يتضح  
 لدينا شيء اعز منه . ومن ثم قد انعطف حيننا نحوك الانعطاف الكلي  
 راغبين لك السعادة الحقيقية رغبة متقدة في الغاية ، ولقد ضاعف فينا  
 هذه الامارات الانعطافية القلبية نحوك بنوع عجيب ولدنا الحبيب  
 يوسف السمعي المدير الاول للرهبانية اللبنانية الجليلية ، الذي قد  
 حضر الى رومية من قبل بطريرك الطائفة المارونية واساقفتها واكار  
 شعبها ليقدم لنا على اسمهم جميعاً التهنئة وعلامات الفرح برجوعنا السعيد  
 الى الكرسي الرسولي . وذلك حينما اخبرنا ان حضرتك كذلك قد  
 حصلت من هذا القبيل نفسه اي من رجوعنا المذكور على سرور عظيم  
 جداً . فنحن في الوقت عينه الذي نشكر محامدك بالمقابلة الواجبة على  
 إظهارك شاهداً جديداً لحسن شهادتك هذه ومعروفك نحونا . ففي  
 الوقت نفسه نرجوكم بمقدار ما تعلم وتستطيع ايها الامير الجليل الكلي  
 الاقتدار بان تكون هياتك وصياتك متلائمة في غاية ما يكون نحو  
 امور الديانة الكاثوليكية في جميع مقاطعات ولايتك . ثم من حيث اننا  
 قد سلمنا ليد يوسف السمعي المذكور بعض اوامر منفذة الى  
 البطريرك الماروني نفسه وبها قد سبقنا واعتيننا باصدار التدابير المختصة  
 بنمو الايمان الكاثوليكي وبصرامة التهذيب والنظام الكنسي فتوسل  
 اليك باعظم نوع لكي تجتهد وتناضل بواسطة سلطانك بان تجري هذه  
 الاوامر باكثر استعداد وقبول . واذ كان لنا ثقة وافرة في ان تكون

حضرتك دائماً مناظراً تحت حمايتك للطائفة المذكورة ولقاصدنا ولجميع  
الكاثوليكين اجمالاً فنحن لا نكف عن التضرع لدى الباري تعالى  
القادر على كل شيء والمأنح الخيرات جميعها بان يفيض عليك بذاته  
انعامه السماوية باكثر سخاء وان يكافئك بسعادة حقيقية .

رومية في ١٥ شباط ١٨١٧ وهي السنة الـ ١٧ لخبرتنا

## الفصل السادس

هل كان الامير متقلباً في دينه ؟

تقدم القول ان الامير بشير ولد مسيحياً من والدين كانا اعتنقا  
الدين المسيحي قبل ولادته ببضع سنوات ، وذكرنا ما كان من امر  
زواجه بموجب الشريعة المسيحية . وقد عاش مسيحياً راسخ العقيدة  
ولم يظهر من تصرفاته قط انه حاد يوماً عنها الا انه زعم بعض الكتبة  
من الافرنج ومن غيرهم ان الامير كان متذبذباً في دينه متقلباً ، بحيث  
انه كان نصرانياً مع النصاري ودرزياً مع الدروز ومسلماً مع المسلمين ،  
اما الحقيقة فهي غير ما وهوا لان التاريخ الصحيح يثبت ان الامير كان  
نصرانياً كل حياته لا شك في ثباته في دينه وعقيدته . ولدينا علاوة على  
ما سبق تدوينه شواهد ومستندات نذكر خلاصتها نقلاً عن مقال  
دبجته يراعة المؤرخ المحقق صديقنا الخوري اسطفان البشعلاني ، ومما

جاء فيه :

(١) ان سياسة الامير لم تكن قائمة على دعائم الدين ولا سماع ان احد الرعايا في لبنان نسب اليه ميلا او تعصبا دينيا بل كانت سياسته ترمي الى استقلال لبنان واجراء العدل والمساواة بين الرعايا وتقرير الراحة والامن في البلاد . وان ما كان يراه الناس من تكتمه وعدم تظاهره بالدين لم يكن دليلا على تذبذب في الدين ، كما نسب اليه بعض الناظرين الى ظاهر الامور دون ان يدركوا حقيقتها ، بل ان ذلك التكتيم كان حكمة منه اقتضتها ظروف المكان والزمان كي لا يظن احد بانه يميل مع فريق دون فريق او يفضل فئة على فئة ، وهكذا ظل محافظا على القوانين بين محكوميه وكانت المساواة جارية بين الجميع على السواء .

(٢) ان هذا الامير الذي ولد ونشأ مسيحيا قد عاش حياته كلها مسيحيا صادق العقيدة بلبنان وخارج لبنان ومات على هذا الدين كما حققه وصيته الاخيرة التي وقعها بخطه وختمه . ولدينا وثائق مثل هذه واثار خطية ومنها يتضح جليا انه عاش ومات مسيحيا لا بتبديل ولا تقلب في عقيدته الدينية كما ان انحراف بعض اولاده في اسطنبول عن هذا المبدأ طمعا بالوظائف اثر فيه وعجل موته على ما حققه شاهد عيان .

(٣) المعبد الخاص الذي كان نصبه كاهن الدار باسم الامير وباذن السيد بطريرك في غرفة خاصة من غرف القصر في بيت الدين بحيث كانت تقام فيه الذبيحة الالهية والصلوات الطقسية ومحضرها المؤمنون جهرآ . وهكذا كان يجري الامر في ماله وبروسه وفي عاصمة السلطنة



نفسها . ويقال ذلك عن المعابد التي كانت في قصور أبناء الأمير بشير  
وسائر الأمراء الشهابيين بلبنان وغيره وكانت مجهزة بالانية الكنسية  
الفاخرة ومزينة بالصور الأثرية البديعة التي كانت تهدي إلى الأمراء  
من الأحرار والملوك المسيحيين فضلاً عن ذخائر عود الصليب وعظام  
الشهداء والقديسين . تلك أيضاً من دلائل تدين أمير لبنان الشهابي  
واسرته . وهكذا قل عن كنيسة مار مارون القريبة من قصر بيت  
الدين وهي من هبات الأمير وزوجته كما يشير صك الهبة . ومثلها  
الدار التي بناها قرب الكنيسة لسكنى الكهنة خدام الكنيسة . وهناك  
لأئمة بجسنت القداست التي كان يوزعها الأمير على المطارنة والكهنة  
على يد الكهنة كما هو محفوظ في خزائنه بكركي في حياة الأمير وبعد  
وفاته . وهكذا القول عن كثير من أقارب الأمير بشير الذين تفضلوا  
وأوصوا بمثل هذه الهبات الدالة على تدين وإيمان حي ، وأوقاف الأمير  
حيدر أحمد وسائر بني شهاب وهي كثيرة دليل على ذلك . ومن  
الأوقاف التي وهبها الأمير بشير من ماله الخاص كنيسة ودار الرسالة  
والمدرسة التي تخص الآباء اليسوعيين في معلقة زحلة فوهمهم العقارات  
اللازمة ودفع ثمن البناء الذي صار تشييده تحت رعاية وكيل أرزاقه في  
تلك الجهات الخوري يوسف شلفون بإشارة من الأمير ( كتاب  
رسالة اليسوعيين في سوريا للاب جوليان ج ١ : ٤٧ ) .

(٤) ان المراسلات المتبادلة بين الأمير والكروسي الرسولي تدل على  
تمسك الأمير بعروة الدين الوثقى ومحبة الأحرار الأعظمين واجلالهم

الامير اذ يدعونه « الابن الحبيب العظيم الاقتدار » ويكون الى همة  
حماية المسيحيين وقضاء مصالح الكرسي الرسولي . واذا كان الامير  
يتحاشى احياناً مخاطبة هذا الكرسي راساً ويكلف البطريرك الماروني  
وغيره بالجواب على الرسائل فذلك تفادياً من ان ينسب اليه التدخل  
مع دول الغرب بالامور السياسية . ومهما يكن من الامر فان علاقته مع  
الحبر الاعظم والكرسي الرسولي علاقات امير مسيحي له المقام العالي  
والاعتبار العظيم والحب الابوي . تدل عليها الهدايا من صور  
ومداليات وغيرها مما كانت رومية تتحف بها امير لبنان وانسبائه .

(٥) علاقات الامير مع البطريركية المارونية على ما رواه الثقات  
المشاهدون والعارفون وقد ذكر بعضها المطران دريان وغيره ، ولوائح  
حسنات القديسات التي كان يتفضل بها « سمادته » على اكليروس  
الطائفة شاهدة بفضله ، ومساعداته للمشاريع الطائفية ومنها مشروع  
تعليم اثنين موارنة علم الفقه وهما المطران حنا حبيب والشيخ بشارة  
الخوري سنة ١٨٣٧ ساعد الامير بالقسم الاكبر من نفقات تعليمهما على  
ما ذكرناه في كتابنا « بشعلي وضيها » .

(٦) زيارة البطريرك يوسف حبيش للامير ( سبق الكلام عن  
هذه الزيارة ) .

رأي الامير موريس شهاب مدير المتحف اللبناني

ونختم هذا الفصل عن مذهب الامير بشير بفقرة من مقال

رائع للامير موريس شهاب بهذا الصدد وصاحب البيت ادرى بالذي فيه - راجع المناره . جوفيه ايار سنة ١٩٥٠ ص ٣٣٢ .

« .. وكان الشعب اللبناني لا يرى في حكمه تمييزاً لطائفة دينية من الطوائف لذلك كان كل شخص من العامة يعتقد ان الامير من طائفته . وهذا ما دعا الناس الى ترديد الحكاية القائلة ان درزيًا ومسيحيًا ومسلمًا اختلفوا على ديانة الامير بشير فزاروه وسألوه عن الحقيقة . فما كان منه الا ان زجهم في السجن تأديباً لهم لتدخلهم بما لا يعينهم قائلًا : « لو كنت من غير طائفتكم فهل يكون في هذا ما يردعكم عن طاعتي ؟ » هذا وقد ردد المؤرخون ذكر الكاهن اسطفان حبش كاهن الامير بشير الخاص الذي رافق الامير الى منفاه .

وهذا القدر كاف لاقتناع ذوي البصيرة ان الادعاء بان الامير كان متقلباً في دينه هو مجرد وهم لا حقيقة تاريخية يمكن اثباتها .

## الفصل السابع

طرائف عن اخلاق الامير وحياته البيتية .

بعد ايرادنا نخبه من الطرائف الرائعة عن ادوار حياة الامير وعن عدله وحزمه في الاحكام لم نر بداً من الحاقها بفصل عن اخلاقه . وليس لعمري افضل منه فصلاً نجعله مسكاً للختام . ومن الطلف الاتفاق

بهذا الصدد ان اثنين من رجالات اوروبا العظام في القرن المنصرم تركا  
لنا وصفاً شائقاً عن اخلاق الامير هما الكولونيل شرشل الانكليزي  
الذي تقدم الكلام عنه ولامارتين الافرنسي الشاعر والخطيب  
والسياسي .

### كلمة شرشل

مما دونه الكولونيل شرشل عن آداب الامير العبارة التالية :  
« اما من حيث آدابه الشخصية فقد كان على اشد ما يكون من التصون  
والصرامة على نفسه يأنف من التمدي ولو بصغيرة على سنة الآداب  
المرعية غير حائد خطوة عن جادة الفضيلة القويمة . »

ويؤيد كلام شرشل ما نقله السلف الى الخلف من الاخبار الرائعة  
عن آداب الامير السامية . والمعروف عنه من هذه الناحية انه كان  
يكره مغازلة النساء وقد كتب عنه السعيد الذكر المطران دريان في  
« النبذة التاريخية » ما يأتي : « والمشهور عنه انه كان شديد التعفف  
الى حد المبالغة حتى انه لم يكن يملأ نظره من المرأة قط وقد ذهب  
تعفقه من هذا القبيل مذهب المثل » . وهو لم يكن ليبيح لاحد ان  
يتجاوز بحضرة حدود الآداب بالاحاديث والاعاني بل كان يبادر الى  
التوبيخ او ايقاع العقاب بجانب الذين يستحقونهما من المخالفين  
ونقتصر على ايراد السكتة التالية :



## نادرة عن عفة الامير

توجه الامير يوماً الى عين المعاصر الشهيرة ذات الماء النقي  
البارد وهي لا تبعد كثيراً عن بيت الدين يروح النفس على قناتها يحيط  
به الشعراء والمعنون وظلوا هناك الى ان قاربت الشمس المغيب . فمرت  
بهم اذ ذاك امرأة من دير القصر اسمها « وردة » واذ رأت ذلك الجمع  
احمر وجهها حياء وواصلت سيرها مسرعة ، فأتجهت اليها الانظار عفواً  
وتبادل بعضهم النظرات خلسة واذا بالمعلم بطرس كرامه يندفع الى  
انشاد هذين البيتين فجأة متلفظاً باسم المرأة :

وردية الخلد بالوردي قد خطرت

تميس تيناً وتثني القند اعجاباً

لم يكف قائمتها الهيفاء ما فعلت

حتى اكتست من دم الطلاب اثواباً

فصنق الحاضرون استحساناً كأن الشاعر صور ما كان يحول في

خاطرهم . اما الامير فظل ساكناً لم تبد منه حركة البتة .

فتناول احد المغنين عوده وضرب الاوتار قاصداً غناء البيتين

فانشد :

وردية الخلد بالوردي قد خطرت ...

واذا بصوت جهوري جلي قوي يقطع الغناء فجأة ... قد هش

الحاضرون وزاد دهشهم اذ رأوا وسعوا الامير بعينه يرتجل شعراً يتأن

وشدة في اللفظ :

« في مجلس لو رآه الليث قال به يا نفس في مثل هذا يلزم الادب »  
حدث ولا حرج عما كان لهذه المفاجأة من الوقع الشديد  
على نفوس الحاضرين الذين بهتوا ساكتين كأن على رؤوسهم الطير  
وساد بينهم السكون واي سكون ... واما ذاك المغني فرشقه الامير  
بواحدة من لحظاته الحادة التي ملأت قلبه ذعراً فارتجت اصابعه ووقع  
العود من يده في المياه . وقبل طلوع الشمس كان خبر هذه الحادثة  
انتشر في دير القمر وبيت الدين وسجل الناس في ذاكرتهم نادرة  
جديدة عن تعفف الامير وعن اخلاقه السامية .

### امراة وحدها في وادي القرن

ومن هذا القبيل نادرة مشهورة نرويها بإيجاز . ان وادي القرن  
ممر مخفوف بالاعطار على الطريق المؤدي من بيروت الى دمشق لما يكثر  
فيه من اللصوص وقطاع الطرق فصارت تضرب باهواله الامثال .  
ارسل الامير يوماً ساعيه علي حبق الى والي دمشق يحمل اليه  
رسالة . ولدى عودة الرسول ومعه جواب الوالي رأى ، وهو مار في  
وادي القرن ليلاً ، امراة تسوق جماراً فدهش من هذا المنظر .. امراة  
تسير وحدها في تلك الساعة وفي ذلك المكان ؟ كيف تجسر على ذلك ؟  
الا تحشى يداً عادية ؟ ولا سيما انه شاهد على ضوء القمر اساور ذهبية

تاسع في معصمها و « قلادة » تتلأأ على عنقها وفي ضغائر شعرها علقت  
 قطع من النقود الذهبية حسب عادة ذلك العصر ، وكان يسمع رنات  
 اهتزازها كلما حركت المرأة يمينها لتهوي على الحمار بالقضيب الذي  
 كانت قابضة عليه .. وبعد ان تردد علي حبق برهة غلبه الفضول  
 واقترب منها وسألها : اما تخافين ان تسيري وحدك الآن في هذا  
 المكان ولا سيما ان عليك مثل هذه المجوهرات ؟ فنظرت اليه بآباء  
 وثيرة في صوتها : « لست وحدي ، فان اباسعدى سائر معي ، سر في  
 طريقك » ( وابو سعدى كنية للأمير بشير كما سر ) فابتعد عنها علي  
 حبق وتابع سيره ساكناً معجباً بسطوة سيده الأمير الذي امتدت  
 هيبتة حتى الى تلك النواحي والقت الذعر في قلوب الاشياء وامنت  
 الطرقات وعزم ان يروي عليه هذا الحادث على سبيل المدح والتزلف  
 على يقين انه ينال رضا العالي .

وصل علي حبق الى بيت الدين وسلم الجواب الى كاتب الأمير  
 الذي تقدمه خمسين غرشاً لاسراعه في اتمام مهمته وبعد مدة جلس الأمير  
 واحضر الساعي وسأله ان يحدثه عما رأى . فسر علي اذ قد اتت الفرصة  
 المبتغاة واخبره بكل ما جرى له مع المرأة وهو ينتظر المكافأة . واذا  
 بالأمير يعبس بوجهه وينتهره قائلاً : كيف بلغ بك الفضول ان تخاطب  
 امرأة غريبة وحدها في مثل ذلك الموقف ؟ ثم امر ان يضرب خمسين  
 عصاً عبرة له ولا مثاله ممن يحملهم الفضول الى تجاوز الحدود .

## الامير بشير واهل بيته

ان الشاعر لامرئين الذي مر ذكره بعد ان وصف زيارته التاريخية للامير سنة ١٨٣٢ في قصر بيت الدين كتب في وصف الامير عبارة رشيقة جاءت موجزاً لما سبق ذكره بالاسباب وهي : « امير شهم نبيل . اسد في القتال . اما ما بين اهل بيته فهو ذو انس وحنان » . والكولونل شرشل بدوره خصص لوصف اخلاق الامير الاهلية فصولا طويلا تقتصر منها على ما يلي تعريبه :

كان في قصر الامير اكثر من الف فارس لا يزالون في حركة دائمة ذهاباً واياباً قاعين بتنفيذ الاوامر والاحكام وبالمحافظة على الامن والراحة في انحاء لبنان . وقد كان الامير مضيافاً سخياً لا حد لكرمه لكنه ، مع حبه الجلم لاستقبال الضيوف وتكريمهم وانزال كل زائر وطارق على الرحب والسعة وبجود لا يجارى ، كان يعكس ذلك على نفسه شديد القناعة والامساك لا يتناول الطعام في يومه الا مرة واحدة وذلك عند ساعة الظهر وكان عند غياب الشمس يأكل كسرة من الخبز مع شيء من الفاكهة المجففة .

ومن هذا يجدر ذكر سخائه على الفقراء الذين كان يقدم الطعام اليومي لنحو مئتين منهم ولم يجاره في ذلك من معاصريه الا الشيخ بشير جنبلاط .

واما اولاده فلم ينظر الا الى الكفاءة في امر تسليمهم الوظائف



فانه اذ خبر في ابنه امين الذكاء والمرونة في المعاملات اشركه معه في الحكم وعهد اليه القيام بالاعمال السياسية كما انه عهد الى ابنه خليل قيادة الجيش لشجاعته ومؤهلاته العسكرية واما ابنه قاسم فلم يسلمه وظيفة لان مؤهلاته كانت يسيرة .

### اوصافه الخارجية

اختصرها الاستاذ البستاني في تاريخ لبنان الموجز ص ٨٨ نقلاً عن المؤرخين في ما يلي :

« كان الامير قوي البنية طويل الشاربين والمحبة يلبس قفطاناً ( غنبار ) من حرير وجبة وعمامة ثم ترك العمامة ولبس الطربوش المغربي ويقال انه كان يدخن في شبق كبير يسع كمية من التبغ ويجلس جاثياً وغدارته الى جانبه واذا غضب وناه بصوته الجمهوري القى الرعب في قلوب سامعيه وكان عفيفاً في حياته الشخصية مثابراً على الفروض الدينية جليلاً نبيلاً ذا سطوة ومهابة . »

### زيارة لأميرتين للامير بشير

ان اسم لأميرتين له شهرة عز ان تضاهي لدى اهل الادب ويذكر له ابناء لبنان والموارثة خاصة عطفه على بلادهم وجهوده في

سبيل دفع الظلم عنهم على اثر حوادث مؤلمة دونها التاريخ ولا افادة  
الآن من ذكرها . وقد زار لامرتين الامير بشير في بيت الدين ودون  
وصف زيارته في كتاب رحلته ورد شيئاً منه في كتاب « في سبيل  
لبنان » للاستاذ الالمعي يوسف السودا وزير لبنان في البرازيل ،  
وللامير نسيب شهاب مقال في هذه الزيارة يلذ لنا اثباته هنا كما لذت له  
كتابه .

### لامرتين في قصر بيت الدين

لم يكن القونس دي لامرتين سياسياً محنكاً فحسب بل كان ايضاً  
من اكبر شعراء اوربا الذين يشار اليهم بالبنان قرأ كثيراً عن الشرق  
وروائعه فاعترم شد الرحيل اليه ليغذي قريحته بمناظره الخلابة ودماغه  
بما يوحيه اليه من خيال .

اجبر من مرسيليا في ١٣ حزيران عام ١٨٣٢ على ظهر المركب  
« السيت » وقد اصطحب معه امرأته وابنته جوليا وثلاثة من  
اصدقائه هم : رسيغال وكاباس والطبيب لارويير وستة من خواص  
خدمه فوصل الى بيروت في ٦ ايلول عام ١٨٣٢ وبعد ان استراح عدة  
ايام فيها توجه الى قصر بيت الدين لعل عظمته وعظمة اميره توحيان  
اليه افكاراً لا يجد امثالها في الغرب .

وما كادوا يشرفون على ميدان بيت الدين حتى رأوه يعج برجال

الحاشية والكهنة والخدم والجند وكان يرتفع في زاوية منه مهبل  
ستائة جواد من اجل الخيول العربية المطهمة . فوقف لامتريين على



الفرنسي الذي لامرتريين

الزغم منه اما هذا المنظر الرائع  
واطلق برهة من الوقت العنان  
لخيلته وغرق في بحر من التأملات  
الواسعة ثم تلففت شفتاه بهذه العبارة  
التاريخية :

« الشرق... يا لعظمة الشرق!... »

وكان تلك العبارة ايقظته من

سبات عميق فترجل وتقدم من  
حراس باب القصر الكبير وقد تقلدوا

رماحهم الطويلة وطلب الى احدهم ان يوصل الى مولاه التحارير التي  
كان يحملها له وقيل انها كانت سياسية . ولم يطل به  
الانتظار حتى رأى المسيو بوتراف الافرنسي الدم اللبناني المولد  
طبيب ابي سعدي الخاص يستقبله باسم سيده فقاده واصدقاه الى جناح  
خاص من القصر حيث رحب بهم . واذ قد اذن الظهير جاءهم الخدم بالطعام  
فوضعه على صدر من النحاس الاصفر بعد ان اركوه على سكة من  
الخشب المطعم بالصدف وكان مؤلفاً من اللحم على شكل « الفتاك »  
وارز بدفين ولبن ومحشي كوسي ولبنه مع الزيت وزيتون وفواكه  
عدة وقد وضع الخدم بجانبهم ابريقاً من الفخار للشرب وخبزاً عربياً .

واقترح الشاعر بطرس كرامه على الامير بشير الكبير ان يرسل  
لضيوفه الافرنسيين اواني طعام افرنجية واكواباً للماء فرفض الامير  
بشير العمل باقتراحه مؤيداً مذهبه بما يلي :

ان لامرتين واصدقاءه ضيوف في بلاد شرقية فعليهم ان  
يحترموا عاداتنا كما يحترمون عادات بلادهم اذ لا استقلال لقوم  
يفقدون عاداتهم ليقلدوا عادات غيرهم .

وما كادوا يشهون من طعامهم حتى ارسل اليهم الامير بشير  
الكبير رسولا ينبئهم انه في انتظارهم في قاعة العامود . ولم يكذب  
لامرتين خطأ راجحاً حتى عرته الدهشة من نقوشها الرائعة فاجال طرفه  
فيها فرأى المياه تتدفق مرتفعة ثم تقع في بركة قاعة في وسطها يربض  
على مقربة منها نمر كبير هائل وقد وضع رأسه بين يديه المسوطين .  
وكان الامير بشير جالساً على زاوية ديوان طويل من الخمل الاحمر  
يقوم بين يديه رهط من الكتبة والموالي والعبيد ، وكان يرتدي ثوباً  
ناصع البياض ، ويتنطق بزوار من الكشمير برزت في اعلاه قبضة  
خنجر مرصعة بالالماس شطر رأسها اسفل لحيته الكبيرة الطويلة  
شطرين .

وقد شعر النمر بحركة غريبة في القاعة فرفع رأسه وما كادت  
عيناه تقعان على لامرتين ورفاقه حتى زاروا وكثر عن انيابه وتحفز  
للوثوب فزرق فيه الامير بشير صوتاً اقعده فرجع الى تمدده الاول  
مدمداً .



وتقدم لامرتين ورفاقه قليلا واحنوا رؤوسهم امام سيد لبنان  
ورفعوا يدهم اليمنى على جباههم ثم على قلوبهم سيرا على طريقة التحية  
الشرقية ، فاجابهم الامير بمثلها وارفعها بابتسامة لطيفة واومأ اليهم  
بالجلوس على الديوان على مقربة منه ، واستعد ترجمانه الذي كان جالسا على  
الارض عند قدميه لينثل دور الوسيط في الكلام .

فبدأ لامرتين معبرا عن السرور الذي شمله ورفاقه من زيارة  
لبنان والتمتع بالثول بين يدي اميره الدائع النصيت ، وابدى اعجابه من  
حسن ادارته وتوطيد اركان العدل والامن في ارجائه وازدهار مواسمه  
واذابة اميره النعرات الطائفية من مارونية ودرزية واسلامية في بوتقة  
شعب واحد هو الشعب اللبناني المتعلق كل التعلق بسيدده وحاكمه .

فشكره الامير بشير الكبير على ثنائه وامطره وابلا من الاسئلة  
عن حالة فرنسا السياسية والفكرية وآراء دول اوروبا في النضال القائم  
بين الدولتين المصرية والعثمانية مما ادهش لامرتين اذ لم يكن يتوقع ان  
يرى في الشرق رجالا محنكين واقفين على دقائق الامور السياسية في  
اوروبا .

وطيف بالقهوة و« الشبق » حتى اذا ما فرغوا منها وقد استقرت  
المقابلة اكثر من ساعة من الزمن نهض الامير بشير وسار بصيوفه الى  
الميدان الداخلي ، ومن ثم الى الحمامات التي لا نظير لاتقانها في فرنسا اذ  
لا يعتني هؤلاء بها اعتناء الشرقيين ، ثم ودعهم ودخل الحمام ليستنحم  
قبل ان يتناول الغداء .

طاف لأميرتين واصدقاؤه في قصر بين الدين فاعجبوا بزخرفته  
وتقوشه وبلغ اعجابهم اشدّه حين زاروا الاصطبلات ووقعت انظارهم  
على الخيول العربية المطهّمة لاسيما وقد كان لأميرتين من المولعين بها .  
وبعد ان تناولوا طعام العشاء ارسل اليهم الامير بعض ضباطه  
ليردوا لهم الزيارة لانه لم يكن يزور بنفسه من كانوا دونه مقاماً ، وارسل  
لهم في السهرة رهطاً من المنشدين والموسيقين اللبنانيين ، فاحيوا لهم  
سهرة زاهرة ارتجل شعراء الامير بشير في اثنائها ابياتاً شعرية القوها  
في مديح لأميرتين ومديح بلاده .

وفي صباح اليوم الثاني زار لأميرتين قصور اولاد الامير بشير  
الكبير في بيت الدين وكانت على مقربة من قصر ابيهم ، ثم امتطى جواده  
بعد ظهر ذاك اليوم وقفل راجعاً الى بيروت ، وقد دون في مفكرته عن  
الامير بشير الكبير العبارة التالية : الامير بشير شهاب الكبير رجل  
لا تستطيع النظر طويلاً اليه اذ تصعقك نظراته مهما كنت جسوراً ،  
شيخ له همه الشباب وحزم صارم اذا ما اضيف الى هيئته ووقاره  
ادركت اذ ذاك سر توطيد الامن لدرجة متناهية في تلك الجبال الصعبة ،  
خبير في السياسة متبصر في العواقب ذو رأي سديد ، كريم النفس  
شريف المعتقد ، اسد في المعارك ، رؤوف وديع ضمن جدران عائلته .

نسيب شهاب

## نخبة من رسائل الأمير بشير

تتمر هذه النخبة نقلاً عن الأصل المحفوظ في مكتبة الصديق الخوري اسطفان  
الشمعاني تكمة لما ذكرناه عن الخلاق الأمير ولما فيها من الغوائد عن طرق  
التراسل في تلك الأيام .

الى الأمير حيدر بللمع الذي صار في ما بعد قائمقام النصارى

جناب حضرة الاخ العزيز الأمير حيدر المكرم حفظه الله تعالى  
بعد مزيد الاشواق الى مشاهدتكم في كل خير وعافية ، نخب  
خوتكم انه قد بلغ مسامعنا ما حصل للراهب شاول في دار الراس وقد  
ارسلنا استقصصنا فأتضح كما يقرر عزيزنا ناقله . ولا يخفى على خوتكم  
ان هذا شيء لا يصير عنه سكوت ، قصدنا افادة خوتكم بذلك لكي  
تشرحوا لنا ما يحسن برايتكم بهذه الحادثة ولا تقطعوا اخباركم عنا ..  
مح ب مخلص

( الختم ) بشير

« ان الراهب شاول هو القس شاول من الكنيسي في المتن من  
بيت الاسمر ، وقد صار بعدئذ رئيساً عاماً على الرهبنة الانطونية ، ويظهر  
ان قد جرى له حادث في دار الامراء المميين براس المتن فكان ذلك  
موقف الأمير بشير »

... بلغنا انه حاصل لخوتكم طرف ترشيل ( رشح ) فهل قدر

انشغل فكرنا بذلك انشا الله يكون عرض وزال وحصلتم على الشفاء  
التام المراد تعرفونا عن رياضتكم لانكم تعلموا ان ذلك مما يشرح خاطرنا  
ولا تقطعوا اخباركم عنا ..

( الختم ) محب مخلص

بشير

... نخبركم بخصوص عزازنا بيت الناكوزي ( بصليبا ) بمفهوم  
خوتكم في بداية الحركة تركوا خاطر اخونا اخوكم الامير عساف  
وحضروا لخدماتنا استقاموا لنهاية الحركة وحيث ثباتهم وعدم مساهمتهم  
لراي الذين كانوا متبعدين من خاطرنا يقتضي يكون لكم حسن النظر  
والملاحظة الى احوالهم ومما به سترتهم حيث خدماتهم المرضية لدينا لا  
نروم غير تسجيم احوالهم واللفتة عليهم ولا تكونوا خوتكم متفاضين  
عنهم كما هو ظننا بكم لان سعيهم كان مما يوافق خاطرهم وعائد لرضانا .

( الختم ) محب مخلص

بشير

« كان ذلك يوم الحركة التي قام بها الشيخ بشير جنبلاط ضد  
الامير بشير وكان الامير عساف مع الشيخ واخوه الامير حيدر مع  
الامير وبيت الناكوزي من حزب الامير عساف فتركوه وتبعوا  
الامير حيدر وساروا مع الامير بشير سنة ١٨٢٥ » .

« ... والثاني نخبر خوتكم انه بمعلومكم توجهننا الذي كان حاصل



على غضبان حاطوم من « كفرسلوان » واستخدام .. له فضلاً عن  
 السماح في الغلط الذي كان حاصل منه سابقاً امرنا له برجوع ارزاق  
 جديده ومنافع ، فعوضاً عن ان يقدم الخدمة المرضية فكان مساه  
 بالفساد والخلل الذي نذر لدى الجميع فاقضى توجه اعزازنا المشايخ بيت  
 ابو حسن علي الى كفرسلوان وبمنه تعالى توفيق وقوعه باليد فاحضروه  
 الى نبع الصفا وهناك قضى عليه باعدامه جزاء لما استحق وبجوله  
 تعالى ان هذا مصير كل خاين ومفسد ولنا كيدنا ان ذلك مما يسركم  
 اقتضى تعريف خوتكم .

( الختم ) محب مخلص

بشير

منظومات شعراء الامير عندما اسدل لحيته

جاء في الفرر الحسان بتاريخ سنة ١٨١٢ النكتة التالية

يناسب ذكرها في هذا الفصل

وفي هذه السنة اطلق الامير بشير لحيته وكان قد بلغ من العمر  
 ستة واربعين سنة وقد مدحه الشعراء الموجودين لخدمته في هذه  
 الايات وهي تنسب الى المعلم بطرس كرامه الحمصي ابن اخت مخايل  
 البحري :

انت البشير الذي فاز الزمان به  
 قد فاز بالمجد والافضال والالطف  
 بدا عزار البها في سعد طلعتة  
 يحكي اساطير بسم الله في الصحف  
 الله عظمه قدراً وحمله  
 ارج وزينه في حلية الشرف

وهذه الايات تنسب الى المعلم نقولا الترك :  
 لما تبدي ذو المعالي مسيلاً  
 ابهى عذار لاح في وجناته  
 فتشيدته لك الهنا يامن به  
 ارخت عش عمرأ عديد نباته  
 وهذا ينسب الى المعلم الياس اده :

فريد العصر مولانا المفدى  
 بشير الامن زينه الجلال  
 وجعت المحامد فيه حتى  
 لنور شهابه سجد الهلال  
 ومذ أبدى محياه عذاراً  
 فنادى ارخوا ظهر الكمال  
 ثم ان الامير بشير بعد ان اطلق لحيته غير حلقه ، وازال عن  
 رأسه الطربوش الطويل ، وغير رونق عمامته فاقتدى به خدمه .  
 والاكثر اطلقوا الحاشم . والبعض غيروا لفاتهم . فانشد بذلك المعلم  
 نقولا الترك :

بشير العصر سن الى البرايا  
 لعظم جلاله سنن الكمال  
 فاهدوا الخلق بالتاريخ بشراً  
 ببطلان الطرايش الطوال

## الامير بضيافة الفلاحة

قيل ان الامير بشير كان مرة عائداً من الصيد مع بعض رجاله وهم جياع فمروا بفلاحة في ضاحية مجدل معوش وطلبوا منها طعاماً معجلاً . ويظهر ان المرأة عرفت من كان محدثوها فرحبت بهم قائلة : اجلسوا وسأقدم لكم ما تأكلون بعد هنيئة . وللحال اضرمت النار ووضعت عليها سمناً في منجرة وجاءت بالصحاف والبيض فكانت تضع مغرفة من السمن الحار في الصحيفة وتفقس فوقه البيض وترشه بالملح وتقدمه فيصل امام الآكلين ناضجاً . وكانت بناتها من جهة ثانية يأتين بالخبز المرقوق وما في البيت من حواضر كاللبن والجبن والمسل والدبس والتين المطبوخ ، فأكل الامير مريئاً وسر من المرأة واجازها بقطعة ارض تطعم دجاجها من موردها ، وذهب وهو يقول : حقاً ان الدجاجة عنزة الفلاح والبيضة طيخة جاهزة .

## الفصل الثامن

هل كان الامير ذا ( قساوة بربرية ) ؟

رد التهمة من شهادة ضحية الفساوة المزعومة

اشتهر الامير بعدله حتى ضربت بعدالته الامثال ولم يقم من

لامه على ما كان يظهره من الصرامة والشدة في عقاب المجرمين ومن  
القساوة التي كانت تضطره اليها ظروف هاتيك الايام العصيبة الشاذة  
غير ان بعض الكتاب نسبوا الى الامير ما يسوؤه (قساوة بربرية  
وظلماً) في حادثتين هما تنكيله ببعض الامراء الشهابيين الذين امر بسمل  
عيونهم سنة ١٨٠٧ وسنة ١٢٨٥ وقتله لجرّس وعبد الاحد باز مدبري  
اولاد الامير يوسف يوم واحد سنة ١٨٠٧ .

الا ان الذي يقتصر على رواية هاتين العقوبتين ويتغافل عن  
الوقوف على الاسباب التي دفعت اليها ثم يصدر فوراً حكمه فيها يكون  
ولا شك متسرعاً بحكمه غير مصيب ولا منصف . لان التاريخ الصحيح  
يذكر باسباب الاسباب الخطيرة التي تبرر ساحة الامير ( من القساوة  
البربرية ) في نظر المؤرخ المنصف لانه اي الامير اجري هذه المعاقبة  
في حينها عقاباً عادلاً لمستحقه ولاجل استتباب الامن وراحة الشعب  
ولاجل صيانة لبنان واستقلاله من الاضمحلال لان هؤلاء الاشخاص  
كانوا خطراً دائماً عليه دائماً اثاره الفتى والثورات على الامير ، طمعاً  
منهم وبدسائس ولالة الاتراك ، مما كان يجلب الحرب الاهلية في لبنان  
مع ما وراءها من ضروب الخراب والويلات وكانت هذه الاضطرابات  
يدبر معظمها الاخوان ابنا باز لما كان لهما من الدهاء والته والنفوذ  
والاقدام ، بدرجة عز ان تجد لها مثيلاً .

قال الشيخ سليم الدحداح : « ان الامير لم يأت هذين العملين  
الامرغماً مضطراً خوفاً من مزاحمتهم له ونجاة من مكائدهم اذ كانوا



يطلبون قتله والفتك به وبذويه كما تبين له ذلك اذ كان سجيناً في عكا .  
 وحب انه افترط في تشكيلهم فله اسوة بشرائع عصره والعادات الجارية  
 في زمانه وفي الدول المتعددة عينها كانكثرا والنمسة ، ولا سيما انه كان  
 يرى امراء لبنان يأتون من الاعمال الهمجية ما تقشعر له الابدان ،  
 كالامير يوسف الذي قتل بيده احد اخوته وسمل عيني اخيه سيد احمد  
 وفتك باحد اخواله وامات الآخر بالسجن » - ( النبذة التاريخية عن  
 الامير بشير ص ١٨ ، وراجع النبذة التاريخية للمطران دريان ص ٤١٤ )  
 ثم يمكننا ان نسأل الذين يشددون اللوم على الامير ويسكتون عن  
 سواه : ما هذان العقابان البذان اجراهما الامير اذا قوبلا بما فعله محمد  
 علي باشا في مصر باغتياله غدرآ مئات الممالك واهلاكهم بيوم واحد في  
 حكاية شيرة لا يحجلها احد ؟

وهنا لا بد من الاشارة الى ان العادة بذلك العصر كانت ان  
 الامراء والباشوات لا يعاقبون بالاعدام اذا اجرموا بل بالتنكيل مثل  
 سمل العيون وقطع اللسان عبرة لسواهم .

### وعند جبهة الخبر اليقين

وجبهة هنا هو الكولونيل شرشل الذي يروي ياسهاب خبر  
 سمل عيون الامراء ومنه يتضح ان هؤلاء الامراء قفوسهم يبرزون  
 ساحة الامير . ولا علم لنا ان هذه الرواية نشرت بعد باللغة العربية .  
 فبعد ان روى شرشل المؤامرة الاولى التي قام بها الامراء وخبر القبض

عليهم يستأنف روايته بما يلي (مجلد ٣ صفحة ٣٥٨) «دخل الامراء تبدوا عليهم ملامح الذل والانكسار وقد اعترتهم الرعدة لما كانوا يتوقعونه من الهول لدى اشتهار مخالفتهم الائمة . الا انهم لم يسمعوا ولا كلمة تقرع بل بدلا منها اذ بكلمات ثلاث تطرق آذانهم بلهجة شديدة وصوت منخفض : « وقعوا امضاءكم بذيلها ! » وكان الامير قد سحب من طيات ردائه وثيقة اخذ كاتب اسراره في قراءتها . وقد اثار مضمون الوثيقة اضطراباً هائلاً في نفوس الامراء ولا غرو فقد كان مدوناً فيها بعبارة وجيزة غاية في الايضاح تعهد يصرح فيه الامراء عباس وفارس وسليمان بانه لن يصدر منهم في المستقبل ادنى عمل من شأنه ان يسبب كدراً او ازعاجاً البتة طيلة حياتهم ، وبأنهم لن يعودوا قط لا بنفوسهم ولا بواسطة غيرهم الى اطلاق حكومة الامير بشير في جبل لبنان او في الاماكن التي تمتد اليها ولايته وذلك تحت طائلة سمل عيونهم بالحديد المصغى وقطع السنتهم .

« فلم يبد من الامراء ادنى تردد او اعتراض بل بعكس ذلك اخذوا يسابق احدهم الآخر الى تكرار عبارات الخضوع والاخلاص نحو الامير معترفين علناً بما صدر منهم من اعمال الفرور وتكرار الجليل ، ومرددين بصوت عال انهم اذا لا سمح الله حشوا بوعدهم فهم يرضون ليس ان تسمل عيونهم وتقطع السنتهم فقط بل ان تكون كل اجسادهم وحياتهم وكل افراد اسرة شهاب تحت تصرف الامير بشير . ثم وقع الامراء اختامهم على الوثيقة وامر الامير ان تودع في

موضع حريز بعد ان صار تسجيلها وبعد ان اخذت عنها نسخة طبق الاصل ادرجت في السجل الرسمي . ولما انتهت هذه المعاملة الغربية والفريدة في بابها شرع الامير يظهر نحو اقاربه هؤلاء باشاشة ولطفاً جماً لعله ينسيهم ما سبق وسبب لهم من الارتباك والانزعاج والح عليهم بان يصرفوا مدة وجيزة في بيت الدين ، فلاقوا في ضيافته المعتادة ضروب الحفاوة والتكريم ، وقد اقبل عليهم الناس يهنئونهم برجوع رضى الامير عليهم . ثم بعد ان اغدق عليهم الامير هداياه من مال وملايس عادوا الى منازلهم بالمسرة والابتهاج - على الاقل فيما كانت تشير اليه مظاهرهـم » - ( شرشل ج ٣ . ص ٣٥٨ ) .

مضت على هذا الحادث الخطير مدة غير طويلة بدأت بعدها الاخبار ترد الى الامير من حين الى آخر تنبئ ان الامراء موقعي الوثيقة رجعوا الى ما كانوا عليه ، من عمل المؤامرات السرية ووسد الدسائس بالاشتراك مع اخصام الامير غاية اشعال نار الفتنة ثم الثورة وقلب حكومة الامير واستلامهم الحكم مكانه ، على ما كانوا الفوه من ذي قبل على عهد الجزار وعبدالله باشا والي عكا . وقد وهوا ان الامير غير دار بذلك . غير انه لم يطل الزمن حتى باغتتهم خيالة الامير وقبضت عليهم واذا هم يرون نفوسهم بغتة موقوفين في سراي بيت الدين يتوقعون مصيرهم الهائل برهبة على احر من الجهر .

نعود الى تعريب ما كتبه شرشل واصفاً هذا المشهد الاخير قال ( ج ٢ ص ٣٨٤ ) « في هذه المرة لم يصر للامراء استقبال قط ولم

ينالوا ادنى التفات من الامير الذي لم يشاء التنازل لمواجهتهم ، بل امر ان يؤخذوا الى غرفة خارجية محاذية الميدان حيث دخل عليهم مدير الشرطة وبسط امام اعينهم كتابة عرفوها للحال واقرؤا بانها كتابتهم ، لان اختتامهم كانت عليها ظاهرة فيها اسماء الامراء عباس وفارس وسليان دون ادنى التباس او غلط ، فضلا عن ان الامراء لم يحاول واحد منهم قط الاعتذار او التخفيف من شناعة عمله ولا سيما الامير عباس الذي كان يجاهر بصوت عال مكرراً هذه العبارة : ( بعدل وحق حل بنا هذا المصاب ) وحالاً جاء من سمل عيون الامراء الثلاثة وكانت من قبل سملت عيون ولدي الامير يوسف ويختم شرشل كلامه بهذه العبارة : « وكان الامير منفذاً لمنطوق التمهد » ( ج ٣ ص ٣٨٥ ) وجاء عمله فيهم عبرة لمن اعتبر فارتاح وارتاحت البلاد من الاضطرابات والقتائل .

### حديث الست مروا

يجدر بنا ان نضيف الى ما سبق فقرة من كتاب « لبنات ويوسف بك كرم » للمؤرخ المدقق صديقنا الخوري اسطفان فريخه البشعلافي تلامس هذا الموضوع قال صفحة ١٢٣ : « حدثني الست مروا زوجة الامير فارس سيد احمد شهاب ، وهو ممن سمل الامير بشير اعينهم لقيامهم عليه ، ان زوجها كان اذا عثر تدمرت هي على من



تسبب بهاء . فالتطم ذات يوم بعامود منزله فصاحت ودعت على الأمير  
بشير فقال لها : يا ليتنا متنا في أيامه ، فقد كان نحر اسرتنا الشهابية بل  
نحر الديار الشامية كلها ، وقد كان معذوراً فيما عمل بنا لأننا تأمرنا عليه  
واخلفنا عهدنا معه ، ولو فرنا لفعلنا به أكثر مما فعل بنا ، وهذا كلام  
يدل على مروءة نادرة » . آه

لعمرى ان هذا الامر فصل الخطاب . وهو فوق ذلك دليل لا  
مرد عليه وبرهان قاطع على ان في أيام حكم الأمير بشير « لم تحتف  
جريمة قط ولم يفلت مجرم حتى ولو كان أميراً خطيراً او اقرب الناس  
واعزهم لدى الأمير » . وهذا لعمرى مديح لا يوازيه مديح ولا نعلم  
اميراً او حاكماً صح انطباقه عليه كاتطباقه على الأمير بشير .

### نظرة اجمالية

« لماذا اطلق عليه لقب « الكبير » ؟ »

تقدم القول في بدء هذا الكتاب ان هذا اللقب لصق باسمه .  
ولا غرو فانه ينطبق عليه انطباقاً كلياً كاملاً اي بصفته الشخصية  
والعمومية لانه كان كبيراً كفرد وكبيراً كحاكم فكان خاصة كبيراً  
بعقله وعقله واخلاقه وسطوته وشجاعته وعقيدته .

## هيئة الأمير ومجلسه

بعدان وقف القارىء في مقدمة الكتاب على ما كان من امر الصدر الاعظم وجوابه الصريح لا يعجب اذا قيل له ان الأمير بشير كان كبيراً بيبته ووقار مظهره ، حتى ان كثيرين كانوا لا يقوون على التحديق به والتأمل في وجهه والاحتفاظ برابطة جأشهم والتكلم بحضرته ، مع ما عرف به اللبنانيون من قوة البدن واشتداد القلب . وحسبك نظرة الى رسمه المعروف فاذا حدثت فيه تأخذك الروعة من هاتيك العيون والحواجب مع ان ليس هنالك الا ظل الحقيقة . وقد أشاد بذكر هيئة الأمير وعظمة مجلسه السياح الاجانب الذين زاروه مثل الشاعر الفرنسي لامرتين والسياسي العظيم الكولونيل شرشل عم والد المستر شرشل رئيس الحكومة الانكليزية الشهير .

ومما زاد في هيئة ذلك المجلس الحاشية المنتخبة التي اتخذها الأمير لنفسه مؤلفة من اعظم رجال عصره علماً وادباً وحكمة واقداماً وفروسية ، مثل الشيخ ناصيف اليازجي والياس اده وعبد الله نوهرا البشعلاني ، وغيره من عائلته انساب مربية الأمير مرحباً بالشعلاني ، وبطرس كرامه والشيخان يوسف وسليم الدحداح والشيخ اسعد ابو صعب افرس فرسان الأمير وغالب الدالاتي الفارس الشهير وطبيب الأمير فرنسيس الحاصباني جد آل فرنسيس في القليعة . فكان يحتاط بهم في ذلك القصر المنيف الذي شاده على قمة بيت الدين يتنافس قصور

ملوك ذلك العصر ولا يزال طرفه للناسر فجعله مركزاً لحكومته ومقرراً  
لعائلته ومعسكراً لجنوده وميداناً للسباق ومحكمة رهيبة وسجناً  
مظالمًا .

### ذكاؤه

كان كبيراً بمقله حاد الذكاء شديد الرأي مرن السياسة ذا فراسة  
فريدة لمعرفة الاشخاص واطوارهم بل مخبآت صدورهم ، حتى انه كان  
كثيراً ما يكتشف الجاني لمجرد النظر اليه وتأمله حركاته ، ويروون من  
هذا القليل اخباراً مذهلة اشبه بالخرافات اذ لم يسبقه الى مثلها احد  
من الحكام بل من الناس على الاطلاق تساعد على ذلك ذاكرة وقادة  
امينة فلا تقوته فائتة حتى كانوا يقولون انه موجود في كل مكان .  
ومن مآثر حكمته وتمقله انه رغم استلامه الحكم في اصعب  
ازمنة لبنان ، اذ كانت تهب فيه عواصف السياسة الهوجاء بين جشع  
عمال الدولة العثمانية وظلمهم ودسائسهم وبين تنافر الاحزاب والطوائف ،  
توصل بمرونته واستقامته الى جمع كلمة ابناء لبنان من نصارى ودروز  
وشييعين وسنيين ، ثم الف منهم جيشاً منظماً كان قوة عظيمة يحسب  
له في الشرق الادنى اكبر حساب لان كفة من ينصره كانت دائماً  
ترجح .

## شجاعته

اتينا على ذكر عدل الامير و اخلاصه . واما عن جرأته وشجاعته وفوته فقد قيل عنه انه كان « جيشاً في جيشه » وكم من موقعة خسرها بجيشه فربحها ببطشه . من ذلك ما فعله في موقعتي الحفد والحيل فانه في هذه ، لما رأى رجال المعسكر المرسل نجدة له من قبل الجزار قد ولوا هارين ، جرد هو بنفسه سيفه وهجم على عسكر العدو فاعاد مثله الحية الى ذوي القلوب الضعيفة فعادوا الى القتال واشتد ساعدهم وشتوا الاعداد بفضل اقدام اميرهم الشجاع .

ومما لا بد من الاشارة اليه انه كان كبيراً بعقيدته متمسكاً بدينه المسيحي طيلة حياته بالرغم من الظروف التي كانت تلجئه الى جعبده . وكان وهو الحاكم المطلق والرئيس الاعلى يخضع لرؤسائه الروحانيين وينفذ احكامهم وورغائبهم ، ومع تمسكه بدينه فانه قد تمشى في حكمه على خطة من تقدمه من حكام لبنان لا يعرف للتعصب او التحيز الديني معنى ، فكان وهو المجاهر بنصرانيته يتخذ مديريه واعوانه من كل الطوائف اللبنانية لا ينظر ولا يعتبر في اختيارهم ورفع رتبهم الا الى الكفاءة والامانة .

وبعد كل ما تقدم يجدر بنا ان نضيف انه اعطي ان يكون ايضاً كبيراً في سنه فقد مد له في العمر حتى بلغ الرابع والثمانين وولي الاحكام نحراً من اثنتين وخمسين سنة ومثل هذا لا يكثر حدوثه .



## الجزء الرابع

حياة الأمير بعد اعتزاله الحكم ١٨٤٠ - ١٨٥٠

إقامة الأمير بشير في اسطنبول

لم يذكر المؤرخون عنها الا القليل واليك ما توصلنا الى جمعه من الطرائف عن آخر مدة من حياة الأمير :

لقد غادر الأمير لبنان ولم يغادره ذكره قط ولم يفارق حبه قلبه فكان من ثم يدمي فؤاده ما كان يرد اليه من اخبار القوضى التي عمت البلاد من بعده وسببت تغيير شأن الحكومة اكثر من مرة ولا سيما اخبار مساعي الدولة للقضاء على استقلال لبنان والحاقه بالولايات . وقد شعر الناس بالأسارة الفادحة التي لحقت بهم بفقدهم حاكماً صارماً عادلاً عز ان يجهدوا له مثيلاً مما حمل فريقاً كبيراً من اهل البلاد ، حتى من اخصام الأمير سابقاً ، ان يقدموا العرائض باعادته الى لبنان اذ لم يعرفوا غيره كفوءاً لارجاع الامن الى نصابه . وبينما كان الأمير يتتبع كل هذه الحركات بهدوء كان رجال السياسة التركية يخادعون به بمواعيدهم العرفوية وهو صابر على انقلاب الدهر عليه غير يائس او متذمر حتى انه لم يكن يسمح لجلسائه ان يسيثوا التكلم بحضرته عن تركيا او

انكثرا . وقد قال له مرة احدثهم ان الصحافة الفرنسية قاعة تطالب بحقوق لبنان فاجابه مورداً المثل المأثوف : « الديك يصيح لكن لا يطيلع الضوء » . ومرة اخرى عبر احد زائريه عن آماله بمستقبل زاهر للامير فاجابه بلطف : « ها قد بلغت ساحل الحياة » ثم وجه افظاره الى شباك مفتوح امامه مرسلا النظرات الى القبة الزرقاء كأن لسان حاله يقول : « آمالي هي هنالك » ذلك لانه كان عارفاً بدهاء الاتراك واشتهارهم بخداع اكبر ساسة اوروبا . الا انهم لم يلبثوا ان صرحوا له بما كانوا يضمرون . واليك ما كتبه بهذا الشأن المطران دريان في كتابه « التبذرة التاريخية صفحة ٤٢٧ من طبعة ١٩١٩ » :

« ان الامير بشير عندما ذهب الى الاسكندرية في اواخر سنة ١٨٤١ قد جاهر بنصرانيته غير هيب ولا طماع يؤثر مجد الله على مجد الناس . وطلب بكل صراحة ان يتم واجباته الدينية في كنيسة الارمن الكاثوليك في غلطة ، وكان ولاية الامور في الاسكندرية يغرونها على اعتناق الاسلام بارجاعه الى الحكم في جبل لبنان مع حق الميراث لتدريته ، فرفض هذه الوعود بكل شجاعة ولم يغره شيء من مجد الدنيا بل جاهر كل المجاهرة بتمسكه بنصرانيته . واذ بأسوا منه لصلاحة عوده مالوا الى اولاده بمثل هذا الاغراء فاسلم منهم الامير امين ظناً منه انه يقوى بعد ذلك على استرضاء والده العظيم الشأن عنه . وبعد ان جاهر باسلامه طلب مقابلة الامير الكبير ليعتذر له فابى مقابلته بكل مرارة نفس وقال قوله المأثور : « اذهبوا قولوا لهذا الغر انه لن يقابلني لا في هذه

الدنيا ولا في الآخرة » وبالواقع لم يعد يقابله قط حتى ادركته المنية قبل والده بمدة وجيزة .

وقد اشار على الامير بشير بعضهم بالذهاب الى عاصمة الانكليز توسلا لاسترجاع ولايته فابى حرصاً على مذهبه وخشية من ان يغري على البروتستانتية ( عن كتاب لبنان ويوسف بك كرم للشعلاني ) .  
ومن مظاهر تدينه في تلك الحقبة ان مرشد عائلته الخوري اسطفان حبش كان يقيم له ذبيحة القداس كل يوم في غرفته فيحضره بنحشوع . ومنها ايضاً انه كان يشاهد مراراً حاملاً سبخته مصلياً . واما حاشيته فكان عددها يقل يوماً بعد يوم . وكاتبه بطرس كرامه تعين ترجماناً في قصر السلطان عبد المجيد لانه كان يحسن اللغة التركية . والتزم الامير بامر الحكومة العثمانية ان يتنقل في البلاد فكان تارة في زعفران بول وتارة في بروسه في الاناضول وتارة في العاصمة نفسها لكنه اينما حل كان موضوع اعتبار كل الدول الاجنبية وسفرائها وكبار وزراء الدولة العثمانية .

ومما هو جدير بالذكر ان امير لبنان حتى الى آخر سنة من عمره كان عطفه « وحنينه ابداً لاول منزل » على ما جاء في شعر مشهور بدليل ما دونه في وصيته الاخيرة التي كتبها سنة واحدة قبل وفاته وفيها يأمر بوجوب صرف مبلغ من المال في سبيل البر وذلك في جبل لبنان وعلى ابناء لبنان وهذا هو النص :

« ثانياً ان تفرق ( اي زوجته حسن جهان ) في جبل لبنان

عشرين ألف غرساً الى الفقراء المساكين في الجبل المذكور .  
وقد نشرنا في اواخر هذا الفصل وصية الامير بحرفها وهي  
لعمرى صورة ناصعة لاخلاقه كتبها في السنة السابقة لوفاته وبها استعد  
لالملاقة ربه كالرجل الحكيم وفيها بيان بجلاء تدينه واتساع ادراكه  
وبعد نظرته .

### وفاة الامير وسلالته

وكانت وفاته في كانون الاول سنة ١٨٥٠ في اسطنبول وعمره  
٨٤ سنة حكم منها ٥٢ سنة ودفن باكرام في كنيسة الارمن الكاثوليك  
المسماة كنيسة النخلص في محلة ( غلطة ) من احياء اسطنبول . ووضع  
على ضريحه بلاطة حفر عليها تاريخه ومديحه باللغات الثلاث اللاتينية  
لغة اوروبا عامة ولغة الكنيسة الكاثوليكية للطقوس الغربية، والعربية  
لغة الامير ، والارمنية لغة مضيقيه واصدقائه الاوفياء .

وهذه هي الكتابة العربية ننقلها مثل اللتين تتبعان عن  
( المنارة ) للمرسلين اللبنانيين في جونية عدد نيسان ١٩٥٠ من مقال  
للاستاذ الاممي فؤاد افرام البستاني :

« قد كان صاحب هذا القبر ذا شرف

مدى الزمان رفيع غير منخفض

لاقى المنية في التسعين متشجاً

ورد الفضائل من عهد ومن عرض



اولت ولايته لبنان طيب ثناً  
وشاد بالعدل فيه غير منتقض  
فهو الامير الشهابي البشير ومن  
غير العلى لم يكن يرتاد من غرض  
قضى فاطمت الدنيا مؤرخة  
اما البشير شهاب في الجنان يضي »

١٨٥٠

وهذه ترجمة الكتابة الارمنية :  
« من هنا طار نحو الحياة الابدية الامير بشير ، رجل الجرأة ،  
امير لبنان ، المنطقة التي حكمها ستاً وخمسين سنة وهذه الارض تحفظ  
بقايا وجوده القصير .

ولد في ٦ ك ٢ سنة ١٧٦٧

توفي في ٣٠ كانون الاول سنة ١٨٥٠

وهذا تعريب الكتابة اللاتينية وفيها تمجيد وتعظيم جديران  
بصاحب الضريح :

العالى الشرف الامير بشير شهاب حكم بالعدل لبنان مدة ست  
وخمسين سنة محبوباً من الله والناس وهو يرقد في هذا المكان وقد  
خطفت روحه الى السماء في ٣٠ كانون الاول سنة ١٨٥٠ .  
وعلاوة على هذه الكتابات نقشت نقوش تمثل شمساً واكليين .  
ومن سلالة الذين هم الآن في قيد الحياة في لبنان عدد من الامراء  
الامثال الشهابيين احفاد الاميرين قاسم و خليل والاميرة سمى ابناء

الامير بشير ، اما ابنته الامير امين ثبات بدون عقب ، ومن احفاده  
ايضاً الامراء المعيون احفاد ابنته الاميرة سعود زوجة الامير خليل  
بشير احمد بللمع من برمانا والساكنون في انطلياس .

ولا ارى ختاماً لهذا الكتاب اجمل من الايات التي وردت في  
رثاء رائع نظمها الشيخ ناصيف اليازجي في الامير سعيد بن خليل بن  
الامير بشير الذي توفي فجأة سنة ١٨٥٧ ودفن في مقبرة المدور بيروت :

اجل بني الكرام ابا وجدا	واكرم رهطهم عمّاً وخالا
كريم من كريم من كرام	بقوا في المجد اعمدة طوالا
سليل امير لبنان المنادي	انا لبنان لما ملت مالا
اذا قلت الامير ولم تسمي	فلا يحتاج سامعك السؤال
سألنا تحت معن عن نظير	له هل قام فيه قال لا لا
ستبكيه البلاد ومن عليها	الى ان تستغيث له مثالا
وتحصى الناس ما فعلت يدها	ولكن بعد ان تحصى الرمالا

هذا هو الامير بشير ذرة الشهابيين نحر الموازنة واعظم رجال  
لبنان قاطبة .

### كيف توفي الامير

فيما يلي نص ما جاء في وثيقة رسم باز اللبناني احمد امناء سر  
الامير بشير عن كيفية موته ودفنه في اسطنبول نقلا عن جريدة  
العمل في بيروت ، لسان حال الكتائب اللبنانية :

« ... بخاطرهم والامير موضوع باوضته التي مات بها وهي في دار الرجال فدخلت وقعدت مع الموجودين فيه فسألهم كيف كان الامير ؟ قالوا : لم يكن جد عليه شيء بعدما فارقه ، وفطر حسب عادته وشرب قهوي وغليون وتوتون ونام كما هي عادته ساعة ، وفاق وغسل وطلب قهوي فاخذ شاكر المملوك الفنجاني ومد يده لاختذه فشخر والقي رأسه على المسند لوراء ، فاسرع الخوري اسطغان واوضته بجانب اوضة الامير فلم يجد فيه روح ابداً فارسل الخوري مكتوب الى البارون تاكه سفير دولة سردينيا يخبره ويطلب منه ارسال مصورين من الماهرين لعمل صورة الامير ، وهذا البارون تعلم في مدرسة عين ورقه حين كان الخوري يتعلم بها فكان يزور الامير بمضى الاحيان ويعرف ماذا كان الامير بشير في لبنان . واخبر سفارة فرنسا والنمسا . وفي الساعة الواحدة ونصف حضروا اثنين مصورين تليان فن بعد ما تعشوا طلبوا ان يروا الجنة ادخلوهم الى الاوضة الموجودة فيها واضاءوا اربع شمعات كبار ، فلما نظروها قال واحد من المصورين الذي اظنه خاف ، واما الثاني اشجع قال : لنأخذ الرسم بقدر الامكان . واني اقول الحق ان النظر لهذه الجنة كان مرعب .

« قال المصورين : نريد انسان يقعد على مسند ويلقي ظهره على الحائط ، فجلست كما ارادوا واقعدوا الجنة مربع على طراحة والقوا ظهره الى صدري ، وكان فرو كبير عال وطربوش اسطنبولي ولايس طقم جوخ وزنار شال هذا كان ملبوسه فبقوا من الساعة ٢ ونصف الى الساعة

٧ من الليل ونهار الاحد بكامله الى غروب الشمس حتى اكلوا اخذ  
الرسم تماماً ، ويوم الاثنين صار نوة عظيمة في البحر لم ير مثلها  
بالاخص في قاضي كوي لان موقعها على شاطئ بحر مرمر . ولازم  
ارسال خادم الى اسطنبول بكتاب الى عالي باشا وزير الخارجية يعلموه  
بعوت الامير ومحل دفنه وكتاب الى وكيل بطريرك خانة الارمن في  
غلطه وان الدفن في كنيسة البطريركية . ويستأجر بابور زغير ليحضر  
الى قاضي كوي لاختذ الجثة الى غلطة واذ لم يكن احد من الخدم يعرف  
يقضي هذه المهام طلبتي الست عندها فوجدت المرحومين والدنا وابن  
عمنا داود والسيد احمد دركزي وناس كثيرين نساء ورجال من اهل  
المحل فرتج وارمن واروام . قالت الست والدمعة في عيناها : يارستم  
ليس عندنا من نعتمد عليه غيرك ، خذ هذه المكاتب الى اسطنبول  
لعالي باشا وزير الخارجية والثانية الى حصون وكيل بطريرك خانة  
الارمن وبات الليلة هناك .

### وصية الامير بشير الشهابي

نقلا عن النسخة الاصلية المأخوذة على اذنك والدرجة في كتاب لبسان  
ويوسف بك كرم الخوري اسطفان البشملاني في صفحة ١٢٠ :

الحمد لله الباري كل موجود الحاكم بالموت على كل مولود حمداً  
مقر بانعامه واليه مسلماً والى احكامه راضحاً وبعده اسأله العفو عما



مضى من الذنوب والسيئات وان يعاملني باحسانه ولطفه من بعد  
المات معترفاً باني عبداً ضعيف ذميم ، واني قادماً على ملك قادر رحيم  
فلذلك قبل افتقالي بصحة جسمي وعقلي واختياري من هذه الديار  
الثمانية الى الديار الباقية اقر معترفاً بان امانتي على امانة الكنيسة الرومانية  
المقدسة واؤمن بكلمة تأمن به وتسلمه وارفض كل ما ترفضه ، ثم انا بكل  
صحتي اردت ان احرر هذا الصك الحاوي وصيتي هذه الاخيرة وان  
يصير العمل بموجبها بين ورثائي لاجل خلاص نفسي ورفع كل المنازعات  
فالولا اريد ان لا يصير احتفال وقت دفني بل يكون الكاهن الموجود  
بخدمتي داري حسب العوائد المسيحية .

ثانياً - من حيث طالت ايام غربتي ولم يبق عندي شيء من  
الموجودات لا ثبات ولا منتقلة وقد اتفقت كلما يوجد عندي من المال  
بهذه الغربة لان كمية المال الذي كان موجوداً عندي حين خروجي من  
الجبل هو ثلاثة آلاف كيس ومائتين كيس لا غير الدين .. وستائة  
كيس وهذا جميعه قد صرفته لحين خروجي من الاستانة الى زعفران  
بول ، كما بيان ذلك واضحاً من دفتر حساباتي الشهرية المحفوظة عند  
المعلم بطرس كرامه ، ومن بعد ذلك الذي كان يتيسر معي كنت اسلمه  
الى الخوري اسطفان جبيش وكل شهر بشهره احاسبه وامضي له حسابه  
وهذه القوائم والتذاكر الشهرية هي محفوظة عند الخوري اسطفان  
المذكور تحت ختمتي والمصاريف التي كانت تنفذ مني زيادة قبل وبعد  
انعام الدولة العلية قد اخذتها بطريق الدين الشرعي من مداخيل ارزاق

زوجتي حسن جهان وبعث بعض من مصاعها واستأمت ما كان عندها من الدراهم النقدية فلذلك بموجب صك شرعي بمحكمة محروسة بروسه قد عوضت عليها ذلك والحالة هذه ومع كل هذا أريد من زوجتي المذكورة بأن تخلص ذمتي بوفاء الديون التي تثبت عندي شرعاً ولربما تكون متوجبة على ذمتي الأمر الذي لا غنى لي به .

ثالثاً - بأن تغرق في جبل لبنان عشرين ألف غرش حسنة قداسات عن نفسي وعشرة آلاف غرش حسنة قداسات عن الاتقس المطهرية . وكذلك عشرة آلاف غرش الى الفقراء والمساكين بالجبل المذكور ، وهذا المبلغ الذي قدره اربعون ألف غرش قد تعهدت لي بتغرقته كما ذكر لاجل خلاص ذمتي حيث لي اليد عليها .

رابعاً - قد اقتها وكيلة عني في هذه الوصية وبكل شيء راجع لخلاص ذمتي ولا احد من ورثاي ولا من خلفهم له ان يتعارضها بشي لان هذه هي ارادتي وهي الوصية على اولادي اولادها سعادى وسعود وترتيبهم بخوف الله تعالى وتجاوزهم برضاهم وما لاحد له معها ولا معهم معارضة وهذا هو رضاي وخطري .

خامساً - متروكاتي الثابتة ، وهي دار بتدين الذي انا معمرها من مالي وشهرتها كافية عن التسمية وهي دار الحرم وراثتها الذي يتبعها هذه موقوفة بمحكمة بيروت باسم زوجتي المذكورة ومن بعدها للدرية ومرطبطة للبنين فهي مقيدة في سجل محكمة بيروت بحكم القاضي الذي كان والمفتي الشيخ عبد المطيف ، واما الدار البرانية والميدان قد

اوهبتهم الى اولادي سعدى وسمود بموجب حجة شرعية بحكمة  
محروسة بروسة ، وبقية المحلات الثابتة التي كانت تخصني فهذه جميعها  
محرر بها حجج شرعية الى زوجتي حسن جهان المذكورة ومتصرفه بهم  
ومعروفين باسمها من ذي قبل كما هو مشهور ، وكذلك جميع الموجودات  
التي كانت عندي من ذهب وفضة ونحاس وخلافه من اثاث بيتنا من  
كلي وجزئي فهذا جميعه يخصها وملكها ومتصرفه به ايضاً ويدها حجج  
شرعية بذلك منا فلا لاحد ان يتعارضها .

سادساً - وكيلانا في الجبل هم اعزازنا : خليل وملحم طرابلسي  
فاريد ان زوجتي المذكورة تجري معهم الحساب بالحق واذا كان باقياً  
لهم بذمتي شيء توفيههم اياه بما انهم متوكلين ايضاً على ارزاقها .

سابعاً - من حيث لم يزل باقي لي شركة خيول بالجبل وبعض  
اسلحة ما عدا ما هو محرر في الحجة المذكورة المسجلة في محكمة محروسة  
بروسه ومعروفين من وكيلانا المذكورين فاريد بان زوجتي حسن  
جهان المذكورة تطلب حسابهم وتوفي عن ذمتي من اصل الأربعين الف  
المذكورة الواجب تفرقتها كما ذكر اعلاه وقد فوضت امري لله ، وهذه  
هي وصيتي الاخيرة التي حررتها في مدينة بروسه ومعلم عليها اسمي  
بخط يدي ومختومة بختمتي تحريراً في اليوم الاول من شهر تشرين  
الاول سنة ١٨٤٩ الف وثمانمائة وتسعة واربعين مسيحية المجابوب الى  
اليوم الخامس عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٢٦٥ الف ومايتين  
وخمسة وستين من الهجرة صبح صبح صبح ،

المقرر بما محرر في الوصية وحررت ذلك بيدي القانية تحريراً

( الختم ) بشير شهاب

اشهد على منطوق سعادته حرفياً ( الختم ) محرره

الخوري اسطفان حبيش

( الختم ) عبدالله انطون مروجي

شهد بما فيه

( الختم ) بطرس كرامه

شهد بذلك

نقل رفاة الامير من اسطنبول الى لبنان

( نقل عن المدي النيويوركية ٢٠ تشرين الاول سنة ١٩٤٧ )

لم تكن فكرة عودة الامير التي حققها نخامة الرئيس الاول  
فكرة اليوم بل انها تعود بتاريخها الى اعوام خلت رددتها وطالب  
بتحقيقها صفوة من اللبنانيين القيارى على ايجاد بلادهم وعلى كرامة  
رفاة حاكم ما زال مستوحشاً في بلاد غير بلاده وفي افياء غير افياء  
قصره .

الى ان كان العام الماضي حيث قررت الحكومة تلبية رغبة  
اللبنانيين فاوفدت حضرة الامير موريس شهاب مدير دائرة الآثار في  
لبنان الى تسييم هذه الغاية وتحقيقها والكشف عن بقايا الامير . فقام  
حضرتة ودليله ما ترك المؤرخون ومعاصرو الامير من ادلة شاهدة على  
الكنيسة التي قام المدفن على جانبها والايبات التي تقمت على القبر



وهناك دليل له قيمته وهو طيب تراب ذلك القبر الذي دل عليه .  
فكانت جولة الامير موفقة . فاهتدى الى المشوى الكريم  
بجانب كنيسة الارمن الكاثوليك في استنبول ، وقد اذاب مرور  
الزمن خشب التابوت فتحول الى تراب ناعم وبقيت منه قطعان  
حقيرتان والى جانبها مسامير التابوت . وقد حدث الامير موريس انه  
قد تعرف دون كبير عناء الى « جده » وقد ظهر وجهه من خلال  
الفاة وانه الكبير وخداه التافران ولوحظ ان هيكله العظمي لم  
يبد الى البلاء حتى اصابعه .

كما وجدوا في المدفن آثار من « غنباره » الموشى بخيوط الذهب  
كما عثروا على قطعة من زناره الذهبي .

فوضعت هذه جميعها في صندوق الى يوم نقلها الذي تم باحتفال  
عظيم يوم ٢ ت ١ والتي كان عظيم صدفها ان يكون آل الامير اعني  
حفدته هم الذي اكتشفوا مثواه وواكبوا جثمانه من منفاه الى  
قصره . واعني بهم الجنرال الامير فؤاد شهاب قائد الجيش اللبناني ابن  
شقيق الامير . والامير موريس شهاب احد حفدته يواكبها حضرة  
عزت بك خورشيد موفد فخامة الرئيس الاول .

وقد اوفد جلالة الملك فاروق بعثة عسكرية اشركت في هذا  
التكريم وحملت اكليلاً كتب عليه : من حفيد محمد علي الى حليفه الامير  
بشير الشهابي .

## كيف استقبلت وفاة الامير

تقلا عن جريدة المستقبل الطرابلسية لصاحبها وزميلة تحريرها  
السيدة الفيرا الطوف في ١٥ ت ١ سنة ١٩٤٧

استقبل لبنان حكومة وشعباً وفاة الامير العظيم في يومه  
المشهود بمد مرور مئة سنة على وفاته وكان ذلك يوم الخميس في ٢  
تشرين الجاري ، حيث عطلت الدوائر الرسمية عن العمل وخفقت  
الاعلام على الدور والمؤسسات وزحفت الى بيروت الجماهير الغفيرة من  
الانحاء اللبنانية كافة وانتظمت في الشوارع المؤدية الى المرفأ فرق  
الجيش والدرك والشرطة ، وترأس حفلة الاستقبال نخامة رئيس  
الجمهورية يحيط به رئيس مجلس الوزراء ورئيس مجلس النواب  
والوزراء والنواب والهيئات الرسمية واعضاء الاسرة الشهاية وسفراء  
وقناصل الدول الاجنبية ورؤساء الدوائر والمؤسسات والمنظمات  
والنقابات والجمعيات ورجال الدين واصحاب الصحف . وتولت مفرزة  
من الجيش نقل الرفاة على عربة وحيهاها الجيش بالتحية العسكرية والموسيقى  
بنشيد الموت ثم بالنشيد اللبناني . ومشى الموكب على اتم ترتيب الى  
ساحة الشهداء وامام النصب التذكاري التقى رئيس مجلس الوزراء  
كلية الحكومة ثم تابع الموكب سيره الى قصر بيت الدين حيث استقبلته  
جماهير الناحية بمظاهرة الاجلال والتكريم . وفي ساحة القصر الشهابي  
استقبلته الموسيقى بالنشيد اللبناني والتقى نخامة رئيس الجمهورية كلية

الامة ، وبعد ان احتفل بالصلاة على الرفاة اودع نعشها في الضريح  
 الفخيم الى جانب زوجته فودعته المدفعية ٢١ طلقة وشيعه سيادة  
 المطران بستانى بقاءين بليغ انصرفت على اثره الوفود مودعة فخامة  
 الرئيس واعضاء الجامعة الشهابية . وقد اسببت الصحف في وصف هذا  
 الاحتفال وخصت اعمدتها البارزة بسيرة حياة الامير الشهابي المليئة  
 بالعبير والمفاخر والاعجاد .

نخبة من قصائد نظمت لمناسبة نقل رفاة الامير الى لبنان

قصيدة للشاعر الزجلي الشهير محمود الزغبى الملقب ( بفتى الجبل )  
 في يوتيكا نيويورك

يا مزين التاريخ بمباديك

صوت الوطن يا مير بيناديك	وبدنا حقوقك بالوفا نوفيك
علواه لو بتفتح عيونك	بتعرف جبل لبنان مش ناسيك
علواه لو بتفتح عيونك	تشوفنا منقر بديونك
لبنان طول الدهر ممنونك	بايام حكمك عاش بالخيرات

ومدغله يشتري المتليك

بايام حكمك عاش بالخيرات	والامن مشى الديب حد الشاة
هيات متلك يلتقى هيات	يا امير بالعدل والانصاف

بعد ما شفتنا حدا يساويك

يا أمير بالعدل والانصاف      متلك بعد لبنائنا ما شاف  
ما كنت تفرق اقويا من ضماف      وحق الفقير مثل الغني عالق  
ولبنان كان يشوف حالو فيك

وحق الفقير مثل الغني عالق      وكلتك ما في عليها رد  
صنت الوطن في عزم ماضي الحد      ومن هيك حتى بعدنا بلبنان  
بي العدل والحق منسميك

ومن هيك حتى بعدنا بلبنان      منتذكرك عاطيلة الازمان  
في حكمتك عيبت عا سليمان      شراعي الامور دبرت دفنها  
وتعرف لوزن الهوى موديك

شراعي الامور دبرت دفنها      وعينك على لبنان لافتها  
وسطوتك يا مير خافتها      باقي الدول تاطابقت عليك  
حتى من بلاد الارز تنفيك

باقي الدول تاطابقت عليك      ولو كان موجود عدل ماصار هيك  
هونيك مت وغمضوا عينيك      وذكرك عاطول الدهر ما يموت  
يا مزين التاريخ بمباديك

محمود الزغبى

يوتيك - نيويورك

« فتى الجبل »



## مطلع الأمير

لفقيد الوطن والشرف رشيد بك نخله

وين الأمير ووين سراياتوا      وصل خيلو وخفق راياتو  
استوحش على البوسفور بوسعدا      قم يا جبل تنجيب عظماؤو  
استوحش على البوسفور بوسعدا      وبعدا البلاد بتبايمو بعدا  
وتذكر صفاهها وعزها وسعدا      وهيتو الكانت ملان العصر  
وحواجبو الغضه وعيساؤو

وهيتو الكانت ملان العصر      وحواجبو اليوقف عليها النسر  
وصرخات عبيد القصر عند العصر      العيش لامين عاش يا جوعان  
وعكامتو تشرع كراراتو

العيش لامين عاش يا جوعان      ومدوم خمس تالاف بالميدان  
مماليك ورجالات جبل لبنان      تزدهم حول « قاعة العامود »  
وبشيزنا مفروود في ذاتو

تزدهم حول « قاعة العامود »      يجمعج حداها ويضج البارود  
والبلكباشية قيام وقعود      بسيوف عريضه تلتطم بسيوف  
وترقب عاهالك الكشك ملاتو

بسيوف عريضه تلتطم بسيوف      تبطل بوسعدا الامير ويشوف  
بكرك سمور بكعدلية صوف      وخنجرو في وسط زانارو  
وعاشمال تدلح طنجحاتو

وخنجرو في وسط زنارو      تجف عربستان نخبارو  
منجار كل من امنو وجارو      ما في كبير الا باسمو كبير  
ولا ظل الا بظل فيانوا

ما في كبير الا باسمو كبير      ولا مير في هالشرق الا «المير»  
اليوم بس تصيح باسم بشير      بتكبر وبتعتر فيك نفسك  
وبتقشعك حالك خيالاتو

بتكبر وبتعتر فيك نفسك      وحاضرك يبيكي على امسك  
ويا ميرنا لو بالارز رمسك      تا كان محج المجد والتاريخ  
وراية جبلنا ورمز نخواتو

تا كان محج المجد والتاريخ      رفرفو عالي على المريح  
ويا ما قرينا للعلی نواريح      تاريخ بو سعدا عليها فاق  
وكبرت على الراوي رواياتو

تاريخ بوسعدى عليها فاق      طاف العواصم طبق الآفاق  
وين القنا وين اللوا الخفاق      وين السيوف التطلب استقلال  
مات الامير وكلهم ماتوا

### ايات مقتطفة

«من رواية زجلية لبنانية للاستاذ بولس سلامة»

وين بو سعدى الامير بشير      هيبتو لا غنتر ولا الزير

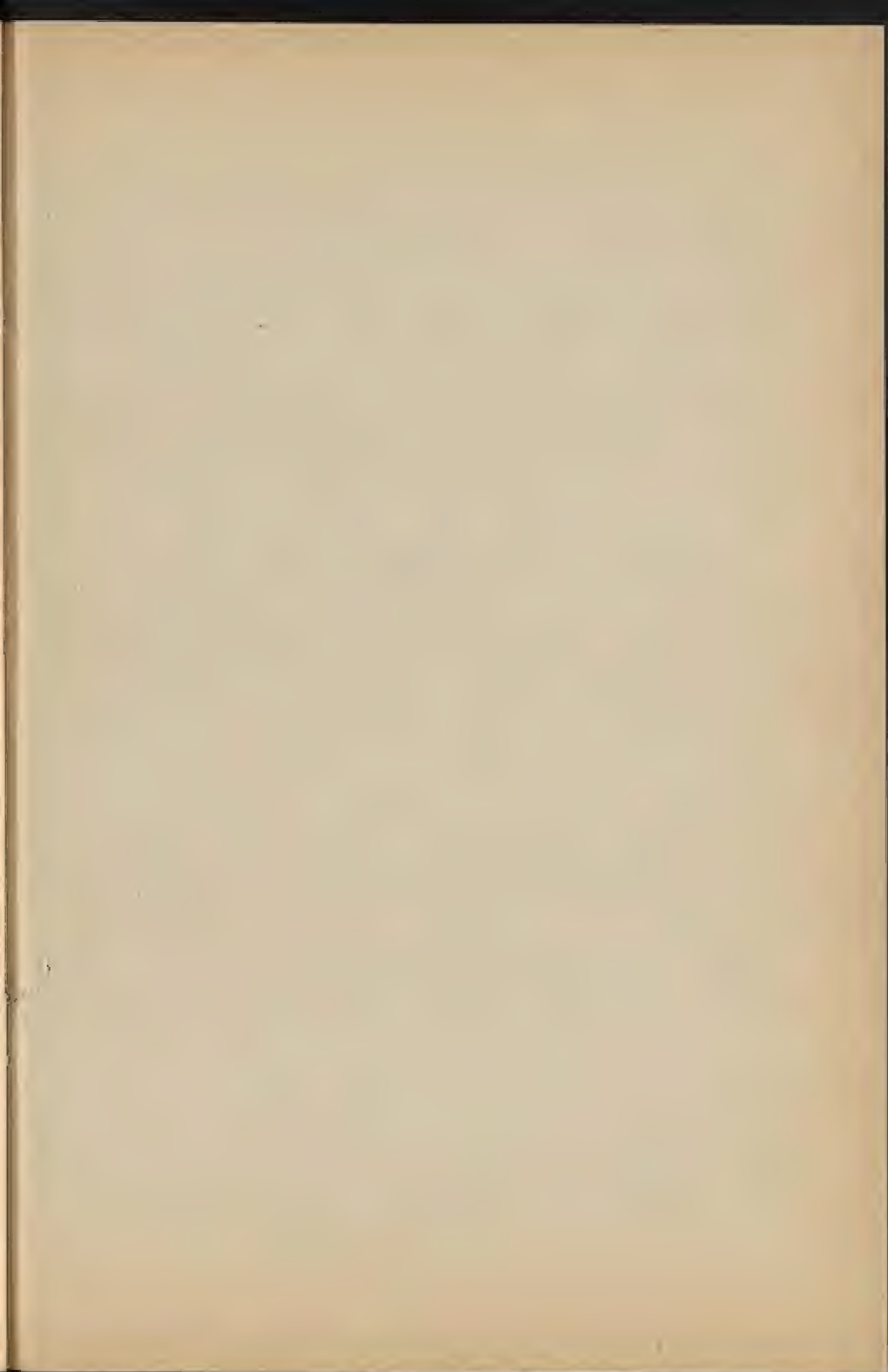
لحيه عريضة قد عرض الشير  
لما على اسطنبول راح المير  
وكانت الحرمة وحيدة تسير  
وصيت الكبيرين ماشلحتو كبير

ومخطره مثل الامير بصير

لبنان كان معتز بزمانو  
فوق الكواكب مرتفع شانو  
حتى انصبغ بالدم ميدانو  
والرصاص يمزق ردانو  
دك الحصار وهد اركانو

والعز رافع تحت اكنافو  
وملعب الخيال اكتافو  
منوالسباع تهبوا وخافوا (١)  
بوادي القرن تبرم باطرافو  
وتنفث عا مثل كسمو العين

(١) يزوي انه لما نفي الامير الى الاستانة دخل ذات يوم حديقة  
الحيوانات وكان في احد الافئد اسد وليرة انتصا واقتين لدى دخوله ولم يحقا  
قبله لآخذ .





## جدول بأسماء الخطام من العيلة السُراية

اسم الامير	سنة ولايته	تاريخ استقالته	مدة الحكم
الامير بشير بن الامير حسن	١٦٩٢	١٧٠٦	٩
الامير حيدر موسى	١٧٠٦	١٧٣٢	٢٦
ابنه الامير ملحم	١٧٣٢	١٧٥٤	٢٢
اخوان منصور واحمد	١٧٥٤	١٧٦٣	٨
الامير منصور وحده	١٧٦٣	١٧٧٠	٨
الامير يوسف ملحم	١٧٧٠	١٧٨٨	١٨
الامير بشير قاسم الكبير	١٧٨٨	١٨٤٠	٥٢
الامير بشير الثالث	١٨٤٠	١٨٤١	١
			<hr/> ١٤٤

## الجزء الثالث

صفحة

٧٣

طرائف عن حياة الأمير في عهد استلامه الحكم

الفصل الأول : لا جريمة تخمّي ولا مجرم يفلت .

- (١) عدل الأمير . (٢) حكم الأمير كما وصفه
- الكولونيل شرشل . (٣) الحوالة . (٤) قتييل
- الدامور . (٥) المجرم الفار الى قبرص . (٦)
- حاملة الماس - خيالة المير . (٧) معاقبة الشيخ
- رستم . (٨) قتلة البطريك . (٩) من قتل
- زوجها ٢ - ظهور الأمير يرد هجرم الاروام
- عن بيروت .

٩٩

الفصل الثاني : سعي الأمير في رفاهية شعبه .

- (١) أول مطعوم للجندري في الشرق . (٢)
- مكالفة الجراد . (٣) أول محجر صخري وأول
- اطباء قانونيين . (٤) نصير النهضة العالمية -
- ابن الأمير يصفه معاه . (٥) امهات المدارس
- في لبنان . (٦) تنظيم القضاء . (٧) تسهيل
- المواصلات . (٨) ابطال عادات قديمة في
- الحداد .

١٠٧

الفصل الثالث : سطوة الأمير خارج لبنان .

(١) حكم الكولونيل شرشل في سطوة الامير  
 (٢) الامير بشير والوهايون . (٣) الامير  
 ويوسف باشا والي الشام . (٤) فتح قلعة  
 سانور . (٥) والله لست اقدر على امير الجبل  
 (٦) الامير بشير والوالي السخيل . (٧)  
 الامير والواليان المتنازعان . (٨) الامير  
 ودروز حلب . (٩) الامير وطائفة الروم  
 الملكيين .

صفحة

١٢١

الفصل الرابع : الامير وامحاب الاقطاع .

١٢٧

الفصل الخامس : الامير والرؤساء الروحانيون .

(١) زيارة البطرك يوسف حبيش للامير  
 (٢) قضية المطران اغاييوس الرياشي .  
 (٣) علاقات الامير مع البابا ييوس السابع  
 رسالتان من البابا الى الامير .

١٣٥

الفصل السادس : هل كان الامير متقلبا في دينه ؟

١٣٩

الفصل السابع : طرائف عن اخلاق الامير وحياته البيتية .

(١) كلمة شرشل بهذا الشأن . (٢) نادرة عن  
 عفة الامير . (٣) امرأة وحدها في وادي  
 القرن . (٤) الامير بين اهل بيته . (٥) زيارة

لأميرتين للأمير. (٦) نخبة من رسائل الأمير  
(٧) منظومات عند استدال الأمير لحيته .

صفحة

١٥٥

الفصل الثامن : هل كان الأمير ( ذا قساوة بربرية ) ؟

الفصل التاسع : لماذا أطلقوا على الأمير لقب « الكبير »

١٦١

نظرة اجمالية في حياته .

## الجزء الرابع

١٦٥ حياة الأمير بعد اغتراله الحكم ووفاته (١٨٤٠ الى ١٨٥٠)

(١) اقامة الأمير في اسطنبول. (٢) وفاته فيها سلالة

(٣) تفاصيل عن وفاته. (٤) وصية الأمير. (٥) نقل رفاة الى

لبنان. (٦) كيف استقبل لبنان رفات الأمير. (٧) نخبة من

قصائد نظمت لتلك المناسبة .



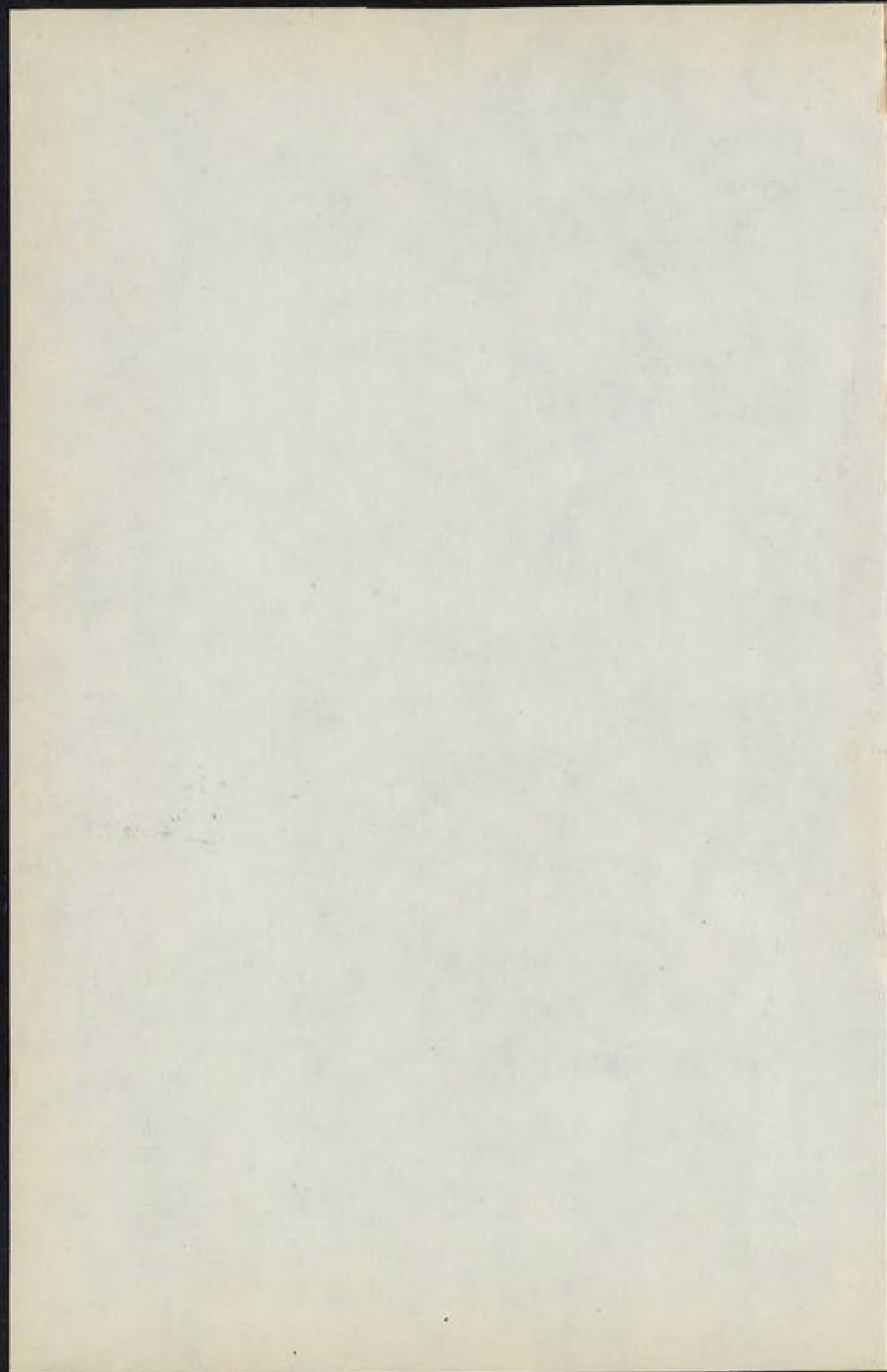


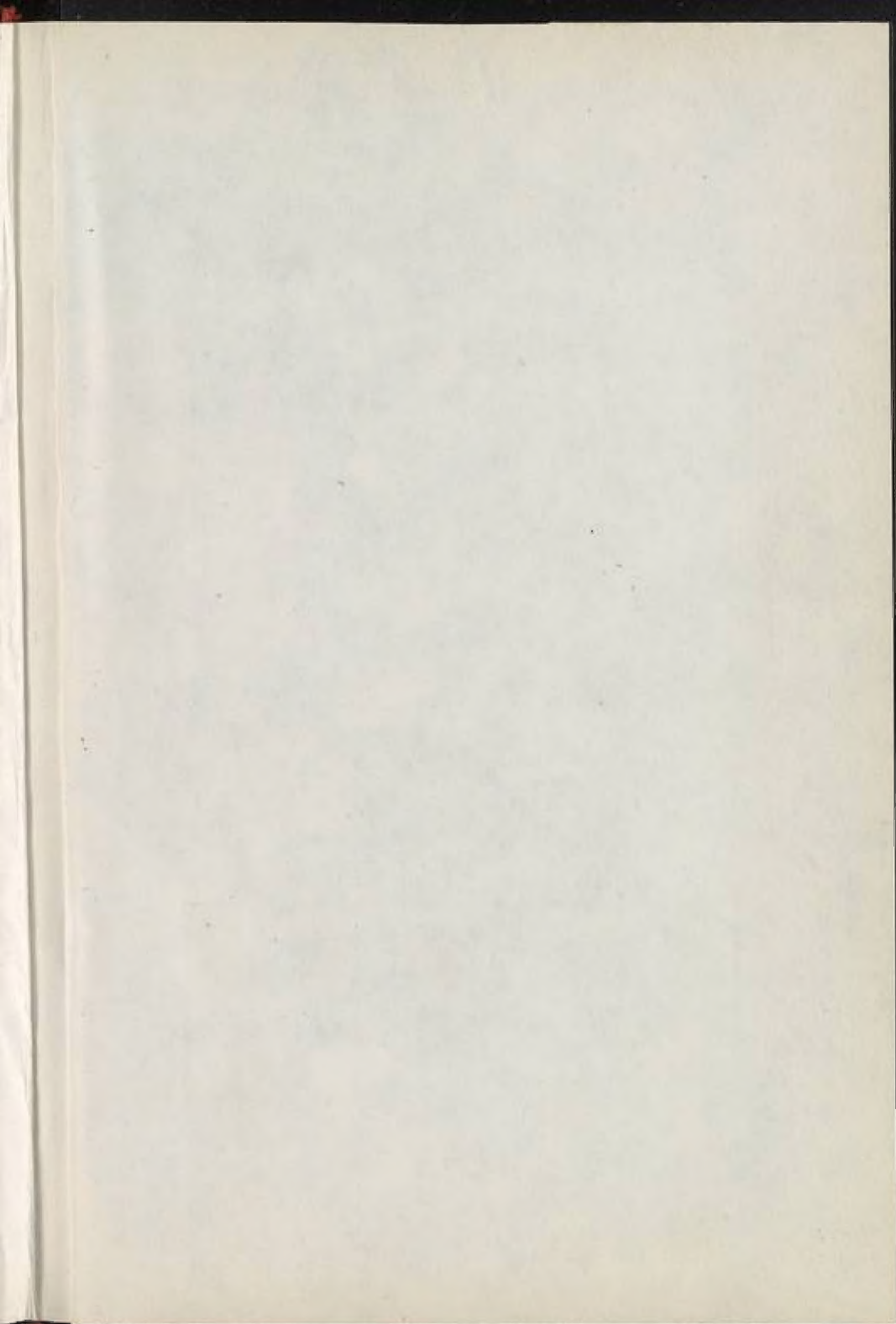
## اصدح خطأ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٤	٨	ولياً	والياً
٣٧	٧	والى	والى
٧٣	٧	والقلائل	والقلائل
٤٨	٦	حزراً	حزراً
٥٣	٥	١٧٠٧	١٨٠٧
٧٠	٤	اسعد	سعد
٨٠	٦	وسل	وسلب
٨١	٧	الذين	الذي
٩٥	١٨	تأليفهم	تأليفهم
٩٦	٦	نحيم	نحيم
٩٧	٢	المندي	الجندي
٩٧	٦	بقلمه	معلمه
٩٨	٥	ليخلفونك	ليخلفوك
١٠٣	٣	عسر	عسراً
١٠٧	١٠	يعجزن	يعجزون
١١٣	١٦	الآترك	الآتراك
١٢٠	٨	جميع	جميع

صفحة	سطر	خطاً	حواص
١٢٣	١	حلة	حالة
١٢٧	٣	اما	امام
١٤٢	١٤	بوتران	بوتران
١٥٠	١	بين الدين	بيت الدين
١٥٨	٩	سليمان	سلمان
١٣٠	١٢	والقلائل	والقلائل
١٩٤	٣	والحيال	والمجال
١٧٣	١١	ثباته	ثابته
١٧٨	١	استقبلت	استقبل
١٧٨	١	رفاة	رفات
١٨١	٣	سريانو	سرايانو
١٧٦	٥	مروجي	برديجي
١٧٦	٧	رفاة	رفات









DS  
86  
.S83

175-96615

APR 25 1975

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU52888045

DS86 .S83

al-Amir Bashir al-Sh